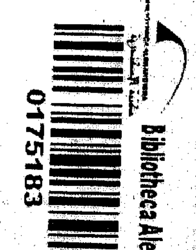
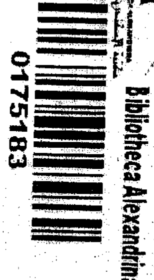
حوار مع الصحافة

أسئلة من الواقع و إجابات من الإسلام

الدكتور محمود عكام




فصلت للدراسات والترجمة والنشر



حوار مع الصحافة

أسئلة من الواقع وإجابات من الإسلام



حوار مع الصحافة

أسئلة من الواقع وإجابات من الإسلام

د. محمود عكّام



الكتاب رقم :/١٤/
العنوان : حوار مع الصحافة ، أسئلة من الواقع وإجابات من الإسلام
المؤلف : الدكتور محمود عكام
الطبعة الثانية ، مزيدة : شوال/١٤١٩هـ . كانون الثاني/١٩٩٩م
الطبعة الأولى : ١٤١٦هـ . ١٩٩٥م

التوزيع:
فصّلت للدراسات والترجمة والنشر
حلب . شارع القوتلي . هاتف : ٢٤٢١١٧ . فاكس :٢٢٦٥٢٨ . ص .ب :٨٢٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ:

أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ

ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ؟!

لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي

وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً

صدق الله العظيم



مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ لله جاعلِ الإنسان خليفةً، والصَّلاةُ والسَّلام على رسوله المصطفى، وعِتْرته الطاهرة النظيفة، ورضي الله عن الأصحاب أُولي الأسرار اللطيفة، وبعد:

أضفنا على الطبعة الأولى من الحوار ما جدَّ من لقاءات صحفية بعدها، وأعدنا الطباعة والتقديم، وغايتُنا في الأولى والثانية دعوةٌ إلى الحقِّ والخير، وهدفُنا بعد الغاية أن يرضى خالقُنا عنَّا أولاً، وأن يجدَ القارئُ العربي مادةً فكرية جادة، في زمن التراخي والتشنُّج الفكريين بشكل عام.

لقد اكتسح الخارطةَ العربية مساران من الفكر والتفكير، اتَّسما بالسلبية لأنهما فرَّطا وأفرطا، وبدأ يتسربُ، بعد غياب شبه مديد، مسارُ فكرٍ متنوِّر يفيد من حسنات الفِكرَين، ويقدِّم ذاتَه خطاً متصلاً بالنور القرآني الواسع الشامل، إذ ليست القضيةُ لديه قضيةَ إسلام ولا إسلام، وإنما القضية عنده قضية إنسان ولاإنسان، ومتى وُجد الإنسان جدَّ البحث عن الإسلام، فالموصوف قبل الصفة، والملقَّبُ قبل اللقب.

إن أهمَّ ما يتسم به الفكرُ المتنور، بعد الارتباط بالقرآن الكريم :

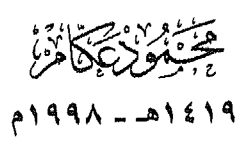
١ـ أنه يلامس الإنسان حقيقة وواقعاً، يلامس الإنسان عن معرفة، ويخاطبه بتقدير، ويتوجّه إليه بإشادة المهمة السامية الموكولة إليه.

٢ـ ثم بعد ذلك، لا يحرص هذا الفكر على الحكم، بقدر ما يبغي البرهان والدليل، ويترك الحكم نتيجةً تستقر في النفوس، دون ذكر شفوي، أولفظ كلامي لساني.

٣ـ وأخيراً، يسعى هذا الفكر إلى رسم معالمِ صيغةِ تعايش بين الناس كافة، فهو الذي لا يسعى لإنسان معين، ضمن جغرافية محددة فقط، وإنما همُّه الإنسانُ في الدائرة الأوسع، والمضمار الأرحب، ويتخذ من أجل هذا أرقى سُبُل الحوار وآنَقَها، ويترسَّم في سريانه خُطى المصلحين الحقيقيين، في مسيرة الإنسان الممتدة منذ البداية وحتى حينه، وأهمُّ هؤلاء المصلحين رسلُ الله الثابتُ إرسالُهم، وفي مقدمتهم خاتَمُهم محمدٌ رسول الله ﷺ، الذي أثبت مصداقيةَ النور والتنوُّر والتنوير، عبر سيرته العظيمة الكريمة.

فإلى الأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم محمد ﷺ، أرفع إهدائي، مشفوعاً بطلب الشفاعة على المستوى الدنيوي: لألحق بهم تابعاً جادًّاً صادقاً، وعلى المستوى الأخروي: لأكون معهم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين



١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله من تعبّدنا بالدعوة إليه، والمجادلة بالتي هي أحسن، والملحمة.

والصَّلاة والسَّلام على رسوله، خير مَن دعا مِن عبادِه، عبادَه، إلى عبادته، بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد:

فثلاثية «الإسلام ـ الحوار ـ الصحافة» تبرز اليوم هامةً، وهامةً جداً، وأعني باليوم مرحلةَ ما بعد سقوط المنظومة الشيوعية، وانهيار رأس حربتها «الاتحاد السوفييتي»، وبروز مقولة «النظام العالمي الجديد»، و«المتغيرات العالمية الجديدة»، هذا النظام الذي لم تُحدد بعدُ معالمه.

وإن كان السَّعي جادّاً من أجل تغييب الإسلام قوةً قادمة، فاعلةً راسمة، من خارطته، التي تُحدِّد مراكزُها وأبعادها، من قبل أوصياءَ على العالم، زعموا أن القوة المادية الصِّرفة شريطةٌ وحيدة، وأساسية، للوصاية هذه.

ولكنهم ما علموا أن ذاك السَّعي كان محرِّضاً ومحركاً غير مباشر، للفت الانتباه إلى الإسلام الواعد، ومدعاةَ بحث عامٍّ عنه، وعن معطياته وأحكامه.

وقد جسَّدت «الصحافة» هذا البحث، بدوريات واسعة الانتشار على مساحات العالم ومسافاته، وبصيغ فكرية متنوعة ومتعددة، من خلال طبيعة التساؤلات التي طرحتها على المختصين بالإسلام فكراً وعلماً وتاريخاً [١].

وقد كنتُ واحداً من هؤلاء المسؤولين، عبر عدد من دورياتها وإصداراتها، فأجبتُ عن تلك الأسئلة، مستعيناً بالله جلَّ شأنه، وناهلاً من معين الإسلام الفيَّاض الثرِّ.

ولست في إجابتي ذاك الذي يَعدُّ فهمَه حاكماً على بقية الفهوم، وقولاً فصلاً لم تنتج مصادرُ الإسلام غيرَه؛ وإنما الذي أقول فهمٌ من الفهوم، ومحتَمَل من المحتمَلات المنبثقة عن الإسلام، وحسبي إذ أذكرها أن أردد قولة الصديق رضي الله عنه:

«هذا رأيي، فإن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، ومن الشيطان».

والآن:

وحبّاً في خير أكبر، ورجاءً لثواب أكثر، أقدم حواراتي الصحافية، مجموعةً في كتاب، ومرصوصةً في قرطاس، لم أزد على ما قلتُه كلمة، وكذلك لم أنقص، وإنما المقدمةُ المتواضعة هذه جاءت استجابةً لضرورة إخراج كتاب، وتلبيةً لمقتضيات تكوين مؤلَّف.

---

(١) الصحافة بعض مجسدات هذا البحث والتنقيب، فهناك الندوات العالمية، والطروحات، والمؤتمرات، والمطالعات، وسواها.

وهي في الوقت نفسه فرصةٌ لتسجيل شكر، وإعادةِ ذكر ثناء على الصحافة التي حاورت، والصحافة بشكل عام، ومُتَّسع لتكرار دعوة جادَّة لها، من أجل المتابعة في خط تبيان معالم الفكر الإسلامي ونشره، وزيادة تدعيم مبدأ الحوار مع المسلمين أرباب التخصص.

وأظن، بل أعتقد، أن الإسلام لن يرفض حواراً حراً، ولن يُهزم في قاعة الحوار الحر الهادئ، ولتكن التجاربُ براهين، والممارسات أدلة.

لقد نادى القرآن الكريم الرسولَ ﷺ، والمسلمين، إلى الدعوة والحوار، والمجادلة بالتي هي أحسن، واستبق النتائج بقاعدة أساسية حاكمة عليها:

﴿ فأمَّا الزبد فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾.

نحن نسعى من أجل ما ينفع الناس، ونحرص على ما ينفع الناس، ذلكم ماعلَّمنا إياه ديننا الحنيف، فالحمد لله عليه، ونسأل الله تثبيتاً على التمسك به، والدعوة إليه.

والله في الأمور مبتغانا، وفي النازلات رجاؤنا، وفي العبودية مولانا.

محمود عكام

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م



حوار مجلة الحرية

حوار حول: العلمنة، السلطة، وإشكالية الديمقراطية.

مجلة الحرية، قبرص.

العددان: /٣٥٦ ـ ٣٥٧/. تاريخ: ١٥ ـ ١٩٩٠/٤/٢٧.

أجرى الحوار: محمد جمال باروت



الحرية :

هل بات مستحيلاً أن نشهد حواراً ما بين «الأصولي الإسلامي» و«العلماني» ؟

وهل بات مستحيلاً على الفكر العربي أن يشهد في لحظة المعاصرة حواراً ما بين «الأصولي الإسلامي» و«العلماني» يستذكر ذلك الحوار الشيّق ما بين محمد عبده وأنطوان فرح .

وبمعنى آخر ، إلى أي حد يمكن فيه لمثل هذا الحوار أن يقوم فعلاً ويؤثر في الوعي الاجتماعي خارج عقلية «التكفير» المتسلطة على الخطابين الأصولي والعلماني التقدمي في آن واحد ؟

فالعقلية «الأصولية» التي لاترى في الخطاب «التقدمي» سوى خطاب «كافر» ، «مرتد» لاتختلف في آليتها المعرفية ، بالمعنى الابستمولوجي للكلمة ، عن العقلية «التقدمية» التي لا ترى في الخطاب «الأصولي» سوى خطاب «رجعي» ، «ظلامي» ، «عميل» . . .إلخ .

والعقلية «الأصولية» التي تشترط على «التقدمي» أن يسلّم مسبقاً بقدسية الخطاب القرآني ، وعصمته النهائية المطلقة ، لاتختلف في جوهرها المعرفي عن العقلية «التقدمية» التي تشترط على «الأصولي» أن يسلم مسبقاً بأولوية المادة على الوعي .

مثلاً ، لقد آن الأوان لكي ينتقل الخطاب «الأصولي» والخطاب «التقدمي» من علاقة الصمم إلى علاقة الحوار ، وأن يتعرّف كلٌ منهما بشكل حقيقي ومباشر على الآخر ، فالحوار النديّ المتكافئ ما بين الخطابين الإيدولوجيين الأساسيين في الثقافة العربية الراهنة لن يمنع الخلافات المعرفية الأساسية ما بينهما ، ولكنه سيتيح لهذه الخلافات أن تتحاور فيما بينها على نحو «ديمقراطي» وليس على نحو «تكفيري» تسلطي .

مسألة الحوار مسألة إنسانية معرفية بحتة، وعلامة على مدى تقدم الإنسان

د. عكام:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله وآله، وبعد:

المبدأ أولاً حوار، والحوار منهاج، وما من إنسان دعا لمبدأ، إلا واستعد لحوار مفتوح له، تطميناً لنفسه، ودعوة لغيره.

ولا يعدو «المسلم» [1] أن يكون من مشمولات هذه القضية، وكذلك غير المسلم مهما كانت صفته، حين يكون ملتزماً، أعني أنه ينطلق في حديثه وسلوكه من تصور شامل للحياة.

وهنا أحبُّ أن أسجل رفضاً لمصطلح «العلماني» مقابلاً «للمسلم»، ذلك أنني أربأ بـ«المسلم» مجانباً لمادة (ع ل م)، مهما كان تركيبها ووزنها الصرفي واللغوي.

اللهمَّ إلا إذا أريد لها مضمونٌ لا يتناسب ودلالاتها الأصلية، أوالمجازية التي ترتبط بالأصلية بعلاقة أساسية.

أوكانت ذات دلالة مخصوصة، مظروفة بوقت تختلف معطياته وسماته عن الظرف الذي نطرحها فيها، أووضعت في مواجهة طرف تغير بعدها هذا الطرف، وأُبدل به طرف لا يشبهه ولا يماثله، فالعلمنة في الغرب موقف لا يمكن تبنِّيه في الشرق، لعدم وجود مقتضيات مماثلة، وبواعث مشتركة، لأنها كانت في مواجهة دين يختلف شمولاً وصحة عن الدين الإسلامي الحنيف.

أعود للقول:

إذا كان صاحب المبدأ يسعى للحوار فالمشكلة إذاً وهمية من حيث الإرادة والتبني.

وقد تغدو حقيقية، يوم تتعلق بالصيغة

---

(١) لا أريد أن أقول: «الأصولي الإسلامي» كما جاء في السؤال، لأنها تسمية مترجمة عن تصور غربي لبعض المسلمين، ربما لا نتفق وإياهم في إطلاق هذا المصطلح عليهم، وقد يكون في رأيهم قياساً على أصوليين غير مسلمين.

والأسلوب بعد الوجود أوالإيجاد.

وهنا يكمن البحث ويجدر التأمل، وعلى من بيدهم زمام الأمر أن يراعوا ذلك، في جو حر، وبقدر متكافئ لكلا الطرفين أوالأطراف، حين يتعدد المتحاورون، أوعلى الأقل، أن لايوقفوا المبادرة، أويمنعوها، حين تنبعث صادقة من أولئك وهؤلاء.

فاستقبال النبيّ ﷺ عديّ بن حاتم، وحواره معه، وتهيئة السبل الملائمة؛ من تكريم صادق، وبشاشة واضحة، صورةٌ لاتغيب عن بال المسلم في كل وقت وزمان.

ورعاية المأمون، الخليفة العباسي، لحوارات كثيرة بين عقائد مختلفة «إيديولوجيات»، وإتاحة الفرصة الوافية للجميع، للتعبير عما في مكنوناتهم، واقعة أكيدة في كتب التاريخ وسجلات الشخصيات المسلمة، وسوى ذلك من المتماثلات مبثوث وافر في المصادر والموسوعات.

والذي نريده ونحن نذكر هذا، ألاتصدر الأحكام دون حوار واضح بيّن الموضوع والاتجاه والمصطلح والنتيجة، ولاحاجة بنا إلى موقف تنفيذي مباشر، تُختصر فيه الشروط المخفَّفة، والظروف القاهرة، تلك التي تؤخذ بالحسبان، حين يكون المنفِّذ على أرض مطمئنة، وفي وضع آمن.

ونلفت النظر أيضاً إلى ضرورة استمرار البحث عن صيغ الحوار وضرورته، كيفما اتفق لأحد الأطراف أن يكون، إن في حال الضعف، أوفي حال القوة، وسواء أكان من أصحاب السيادة والسلطان، أم من أهل التبعية والإذعان.

فمسألة الحوار مسألة إنسانية معرفية «أنتربولوجية» بحتة، وعلامة على مدى تقدم الإنسان في سلم المصدر الصناعي المشتق منه، وإذا ما غاب الحوار عن أرض، حلّ بها الدمار، وما الأمثلة في بلادنا العربية بقليلة، فحلبة «لبنان» شاهد القرن العشرين.

الحرية :

يواجهنا الخطاب الأصولي السائد بنظريته عن «الحاكمية» في الإسلام، والتي تشكل الأساس النظري لمفهوم «الدولة الإسلامية» في هذا الخطاب.

وبغية الاتفاق على دلالة المصطلحات، فإننا نعني بـ«الحاكمية» ما يدل عليه مصطلح: L'autorité، و بـ«السلطة» ما يدل عليه

الثيوقراطية والديمقراطية عمليتان تقومان على مصادرة التفكير إلى حد ما

مصطلح : Le pouvoir .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن «أبو الأعلى المودودي»، أمير الجماعة الإسلامية في الهند، هو أول من صاغ هذه النظرية على نحو منظومي، كنظرية للإسلام في الحكم، ويمكن التأكيد أن مفهوم «الدولة الإسلامية» في الخطاب الأصولي السائد، بشقيه السني والشيعي، هو تنويع على نظرية المودودي، فإلى أي حد تمتلك فيه هذه النظرية نصاباً يسندها في تاريخ الفكر العربي الإسلامي نفسه ؟

وبمعنى آخر :

يبدوأن المودودي في مفهومه «للحاكمية» وكأنه يستعيد، على نحو دقيق، نظرية «الحق الإلهي» الأوربية، فيواجهها بنيوياً بما يصفه بـ: «النظرية الديمقراطية»، هل نظرية الإسلام في الحكم متطابقة حقاً مع النظرية «الثيوقراطية» التي يراها المودودي أقرب إلى الإسلام.

د. عكام :

كان يمكن للسؤال أن يكون على الشكل التالي :

كيف يرى المسلم «الحكم» ؟ وماذا يعني حين يردد «الحاكمية لله» و«السلطة»؟

وأين يكمن تصوره حين تصنَّف الأوضاع السائدة إلى «ثيوقراطية» و«ديمقراطية» ؟

عندها نُجيب :

إن المسلم يعلن ولاءه المطلق لخالقه، وانقياده له، ومتى ما ثبت له بالنقل القائم على العقل، وبالعقل المعتمد على النقل؛ أمرٌ وارد عن ربه، التزمَ مضمونَه وترجم مكنونه، وهذا ما نقصده بالحاكمية بشكل موسع، ومنها ينبثق معنى «الحاكمية» الخاص، وحين تمارَس السلطة فلا بدّ من انسجامها مع هذا المفهوم للحاكمية.

وعلى الإنسان أن يبحث بعقله، وبما أوتي من قوى فكرية، لتحقيق التناغم «الهارموني»

بين ولائه المطلق لله عزوجل القابع في داخله، وبين بقية تصرفاته الصادرة عنه، ليتّحدَ توجهاً وهدفاً وسلوكاً.

وفي رأيي:

أن «الثيوقراطية» و«الديمقراطية» عمليتان تقومان على مصادرة التفكير إلى حد ما، فواحدة تأخذ بالأبصار إلى «فوق»، لتشغل الناس عن فعلها «تحت»، وأخرى تدير الأبصار إلى «تحت»، لتفعل فعلها «فوق»، ولاعلاقة للإسلام بهما، لأنهما نظريتان متقابلتان خاضعتان لظرف وشرط وزمن خاص جداً، وفي الإسلام حسناتهما معاً.

ومجمل ما يمكن قوله في هذا المجال، بالنسبة إلى الإسلام سنيِّه وشيعيِّه:

إن الطريقة إلى الحكم والاستمرار فيه، وإن اختلفت الصيغ والأشكال، منوطتان بمدى مراعاة شرع الله عزوجل من قرآن وسنة شريفة، على عموم كبير بالثانية، ليدخل الفرقاء جميعهم، لاسيما أن الثقة بهما معاً «القرآن والسنة» أمرٌ كرسته عقولٌ ناضجة موثوقة، في نظر عامة المسلمين، وتجربةٌ ناجحة استمرت زمناً ليس بالقصير، حين تقاس أعمار الأمم.

وليس بالضروري بناءً على ذلك تصنيف الوضع الإسلامي تحت إحدى العبائر أوالمصطلحات التي لفظها مجتمع آخر، ما دامت هذه الأخيرة ولدت خاصة، ولم تكن قواعد عامة، رصدها المفكرون والفلاسفة عن سلوك إنساني بحت «انتربولوجي».

وما يؤكد كلامنا هذا حديث عن النبي ﷺ يقول فيه:

[يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برىء، ومن أنكر فقد سلم، ولكنْ من رضي وتابع.

قالوا: يارسول الله ألا نقاتلهم؟

قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة] أخرجه مسلم.

وانظر باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي.

وكما ورد في حديث آخر في المرجع ذاته:

إن الصحابة بايعوا النبي ﷺ على:

[ألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم] أخرجه الشيخان.

الشعب رقيب في التطبيق، بعدما بذل جهده في التسليم والتنصيب

فالشعب رقيب في التطبيق، بعدما بذل جهده في التسليم والتنصيب، في أن يكوِّن تطبيقاً محتملاً لنص شرعي صحيح ثابت.

فأين إذاً المقارنة بينه وبين «ثيوقراطية» لاتخضع لتفسيرات عقلية، أوبين «إيل ميلكو» التي لا تعرف الاستقلالية بنصوصها؛ بل تبقى سراً غامضاً يفسره الكهنة بالشكل الذي يرغبون، دون إراءة العلاقة بين التفسير والمفسَّر، والمفهوم والنص.

الحرية :

إن «الحاكمية» أي الـL'autorité في الخطاب الأصولي هي لله، في حين أن «السلطة» أي الـLe pouvoir هي عملياً لـ«الفقيه»، ويستمد «الفقهاء» سلطتهم من حق فوضهم به الله، ويتحول فيه الحاكم الإسلامي مباشرة إلى نوع من «نائب الحاكم الأعلى».

من السهل هنا استقصاء الطابع الشرقي لهذه النظرية، فالسلطة في الدولة الشرقية الاستبدادية تحكم دوماً بواسطة تفويض من «حاكمية» «إلهية» هي «إيل ميلكو» أو «الله الملك» أو «إيل» أو «الله»، في حين يتولى «الكهنة» تطبيق هذه الحاكمية.

ألا تجدون معي في أن العلاقة مابين الحاكمية والسلطة في الخطاب الإسلامي هي استعادة على نحو ما لهذه العلاقة، وبالتالي فإنّ بنية المجتمع الشرقي الاستبدادي هي التي تفسرها؟ هذا أولاً.

ثانياً:

من الصعب على المرء أن يوافق على أنّ نظرية «الحاكمية» في الخطاب الأصولي السائد، هي نتاج نوعي لفهم الإسلام وتجاربه في الحكم، فالقطيعة ما بين هذه النظرية وما بين الخطاب الإسلامي التنويري «عبده، الأفغاني، الكواكبي، سيد أحمد خان...إلخ» تكاد تكون بنيوية.

وبمعنى آخر، لا يشكل الخطاب الأصولي السائد وريثاً للخطاب الإسلامي، بقدر ما يشكل انقطاعاً ضدياً عنه، كيف تنظرون إلى ذلك ؟

ثم اسمحوا لي بالقول:

إن الإسلام لايمتلك نظرية في الدولة، بل تجربة في الدولة، يمكن مؤقتاً قبول امتلاك هذه النظرية بوصفها تعميماً للتجربة واستقصاء لأنظمتها، إلا أن هذه النظرية تغدو في هذه الحالة نظرية اجتماعية خاضعة للتغيير ومعاودة النظر، ومحددة تاريخياً، وليس كنظرية معطاة إلهياً.

د. عكام :

على ضوء ما أسلفنا، لا أعتقد أن هناك قطيعة بنيوية بين الأشكال القديمة وشكل «عبده، الأفغاني، وسيد أحمد خان»، إلا إذا كنت ياسائلي تفترض الشكل السابق شكلاً وحيداً أفرزه النص الأصلي، ولم يعد قادراً على تقديم غيره، وهذا ما لانعتقده نحن بدورنا.

وأين الخلاف البنيوي بين كل الأشكال المسلمة ماضياً وحاضراً، إذا كان الجميع يسعون لتفسير نصوص تتعلق بالحكم والحاكمية والسلطة ؟ هذا إذا استثنينا قديماً ابن كيسان، كما نقل عنه الغزالي، وعلي عبد الرازق حديثاً، اللذين رفضا علاقة قائمة بين النصوص الأصلية الإسلامية وبين السياسة من سلطة وحاكمية، وعلى كلٍّ، فقد سمعا، كلٌّ في ظرفه ووقته رداً قاسياً، واعتُبرا في أحسن أحوالهما مجتهدَين مخطئين، ولم يختلف في هذا الحكم عليهما، حتى الأفغاني وعبده وسائر رواد مدرستهما.

وعلى هذا، هل يمكن أن يكون ما طرحه السائل في السؤال الرابع مقبولاً حين قال: «إن الإسلام لا يمتلك نظرية في الدولة، وإنما يمتلك تجربة» ؟

وأنا أقول: إنه يملكهما معاً، يملك النظرية بأُطرها العامة، ويسمح للعقول، بل يدعوها لممارسة دورها في الترجمة والتطبيق والتنفيذ بصيغ متعددة، تتفق في الأهداف والجذور، وتتحد في التصورات والمنطلقات، ويكفي لتحقيق ذلك، أن يكون القرآن والسنة أساساً استنادياً في إقامة الدولة واستمرارها، ومنطلقاً في استنباط النصوص الدستورية والإدارية، وهذا ما وحّد الدول المسلمة

المتتالية، وجعلها تحمل، رغم كل الاختلافات الشكلية، اسم الإسلام عنواناً مشتركاً بينها، والحمد لله على سعة الإسلام العظيمة.

الحرية :

إن نظرية «الحاكمية» بالمعنى الذي يستعيدها فيه الخطاب الأصولي السائد تقترح شكل «دولة إسلامية» تخطاه العصر وتجاوزه تماماً، وقد أثبتت التجربة أن «الدولة الدينية» هي أكثر الدول انتهاكاً لمبادئ الدين السامية والأخلاقية، في حين أن الدين أكثر احتراماً وهيبة في الدول العلمانية.

ويخطئ الخطاب الأصولي كثيراً عندما يربط حتماً ما بين «العلمانية» والعداء للدين، فليس «العلماني» بالضرورة لاديني، بل إن العلمانية في أساس منطقها تكفل لجميع العقائد، بما فيها العقائد الدينية، حريتها الكاملة ومزاولة مبادئها.

ألا يمكن في هذه الظروف الدعوة إلى تكوين مسلمين علمانيين، لاترتبط موافقتهم العلمانية بالإلحاد مثلاً ؟ وبمعنى آخر، أليس ممكناً للمسلم أن يزاول عقيدته الدينية في دولة تقوم على فصل الدين عن الدولة ؟

تصور واقع وضعية الإسلام في انكلترا مثلاً ووضعيته في السعودية، إن الإسلام أكثر حرية في باريس أولندن منه في جدة ؟ والصحافة الإسلامية تصدر حرة تماماً في لندن أوباريس، في حين أنها خاضعة لـ«رقيب» في الدول الإسلامية.

أريد أن أقول :

إن حرية الإسلام تكمن هنا في علمانية تصون هذه الحرية قانوناً وعملاً.

د. عكام :

لم يتخطَّ عصرنا ياسائلي الدولة الإسلامية، وما أظنك بمعزل عما حدث في دولة كبيرة تسمى «إيران»، فهي صيغة من الصياغات الإسلامية، أساسها الإسلام، ودستورها مستمد منه، وأحيلك عليه لتقرأه.

بل لم يتخطَّ زمنياً حتى «الدولة الدينية» بالمعنى العام، والأمثلة كثيرة في مصنَّف الأمم المتحدة، ولا أعرف حتى الآن سر الجهل هذا أوالتجاهل !

ومن ناحية أخرى، أراك ترى الدين منتَهكاً، حسب تعبيرك، في الدولة الدينية، وما يهمني منها الإسلامية، أشد منه في الدولة العلمانية، فهلا أتيت بأمثلة على هذا

الانتهاك؟

وأما احترام الدولة العلمانية[2] للأديان، فلا يغرنّك منه صور باهتة ودعاية ساذجة، وهل يحترم الأديانَ يا سائلي من أباح اللواطة مذهباً، والجنس الإباحي مبدأ، والدعاية الملوثة وسيلة لديمقراطية مزيفة ؟!

بل ما بالك به يمنع الأذان للصلاة، ويسمح بالروك، سل عن ذلك إدارة المساجد في باريس ولندن وقد أُعجبتَ بهما.

وأخيراً، كيف تريد للمسلم أن يتخلى عن جزء أساس من دينه وشريعته، وهو ينأى عن السعي لقيام دولة إسلامية؛ ليسعى بالمقابل إلى إقامة دولة «باريسية» أو«لندنية»، ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ البقرة/ ٦١ ؟!

الحرية :

ما هو شكل السلطة أي الـ Le pouvoir الذي يحقق للإسلام المعاصر حريته ؟ هل هو شكل «الدولة الدينية» التي يشيدها «الفقهاء»، أم شكل الدولة العلمانية التي يتساوى فيها الجميع، وتزاول فيها العقائد حرياتها، في الآن الذي تسمح فيه بحرية الاصطراع الديمقراطي مابين العقائد ؟

وبمعنى آخر، إن الماركسيين والقوميين والعلمانيين والديمقراطيين والليبراليين والمتنورين يشكلون جماعات بشرية واسعة في البلدان الإسلامية، وهؤلاء هم أكثر ضمانة لحرية المسلمين في مزاولة عقيدتهم من ضمانة الدولة الدينية لهم بمزاولة آرائهم، وبالتالي فإن المخرَج العلماني الديمقراطي هو مخرج ينسجم مع مصلحة الجميع، وإلا فإن مجازر التسلط، وهدر الدماء هي البديل.

د. عكام :

حين نذكر الإسلام نذكره مستوعباً، وليس العكس، فهو الإطار الجامع لشتات الآخرين، وهكذا نريده.

وضمن حدوده العامة، أوما يعبر عنه فقهاؤنا بالنظام العام، تُزَاوَل الحريات والمبادئ والديانات فـ ﴿لا إكراه في الدِّين﴾ البقرة/ ٢٥٦ آية في القرآن تُطبَّق أول ماتطبق عندما يحكم

(٢) حيث ما أذكر هذا المصطلح، فذكره على سبيل الحكاية، وإلا فلي موقف آخر، وقد ألمحت إلى بعضه في جواب السؤال الأول.

الإسلام.

﴿ وقولوا للناس حسناً﴾ البقرة/ ٨٣ آية آخرى تستوعب بحروفها وكلماتها الجميع.

وحديث النبي ﷺ: [الناس من آدم، وآدم من تراب، لافضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى] أمر لايغيب عن بال القائمين على تسيير الدفة في الدولة المسلمة.

أليست أمريكا دولة علمانية في رأيك ؟

إذاً فأخبرني عن حياة الزنوج فيها ؟

أوليست إنكلترا دولة متقدمة في مضمار العلمانية على حد زعمك ؟ وأنت الذي تستشهد بلندن كثيراً، إذاً أخبرني عن دعمها الكبير لـ «آيات شيطانية»، متجاوزة بذلك شعور آلاف من المسلمين هناك.

وفي المقابل نجد القرآن الكريم يقول لأتباعه: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ الأنعام/ ١٠٨، فمَن الشامل ومن المشمول؟

أخيراً دعني أنصحك ببيت شعري يقول قائله:

إنّ الأفاعي وإن لانت ملامسها
عند التقلب في أنيابها العطب

إنّ الإسلام شكل فريد في دولته وسياسته واقتصاده، وهكذا أراه، ولولا ذلك لما كنتُ مسلماً.

لن أقول عنه «دولة دينية»، فأنا أخاف من بقايا صور مرعبة للمصطلح ورّثتها دولة حملة الصليب زوراً، ودخلت أراضي ليست بأراضيها عدواناً، أودولة أعدَّت محاكم كبيرة فتّشت من خلالها عن كل إنسان يحمل بين جنبيه ضميراً حراً فأبادته.

أما الإسلام في قول خلف بن المثنى عن شموله وديمقراطيته [(٣)]:

شهدنا عشرة في البصرة يجتمعون في مجلس لا يعرف مثلهم في الدنيا علماً ونباهة وهم:

١ ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب النحو، وهو «سني».

٢ ـ والحميَري الشاعر، وهو «شيعي».

٣ـ وصالح بن عبد القدوس، وهو «زنديق ثَنَوي».

٤ ـ وسفيان بن مجاشع، وهو «خارجي صُفَّري».

٥ ـ وبشار بن برد، وهو «شعوبي خليع

(٣) الديمقراطية هنا على سبيل المشاكلة.

ماجن».

٦ - وحماد عجرد، وهو «زنديق شعوبي».

٧ - وابن رأس جالوت، وهو «يهودي».

٨ - وابن نظير المتكلم، وهو «نصراني».

٩ - وعمر بن المؤيد، وهو «مجوسي».

١٠ - وابن سنان الحرّاني، وهو «صابئي».

وكلهم في رعاية إسلامية إنسانية، فهل عرفتَ لذلك شبيهاً؟

وهل أنت باقٍ على قناعتك يا سائلي بأن العلمانية شكلٌ يستوعب الجميع، أم عدلت؟ على كلٍّ هذا شأنك، فلا تؤاخذني، فقد أردتُ الملاطفة.

وأختم الجواب بقول غوستاف لوبون: «إن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم».

وللاستزادة والاطلاع، انظر كتاب «من روائع حضارتنا» للدكتور العلامة المرحوم مصطفى السباعي.

الحرية:

ليس «الإسلام» مجرد «قرآن وسنة» وحسب، بل أساس تراث حضاري أسهمت في تكوينه ثقافات وحضارات شعوب متعددة، أنتج استيعاب «الإسلام» لها في فترة تاريخية ما شيئاً نسميه الحضارة العربية الإسلامية.

إن انتماء سلامة موسى، أومكرم عبيد، للإسلام بهذا المعنى، ليس بأقل من انتماء المودودي نفسه له.

أريد أن أقول أيضاً:

إن الإسلام بالنسبة لنا نحن العلمانيين، سواء كنا ماركسيين، أم قوميين، أم ليبراليين، أم ديمقراطيين، هو تراث حضاري ننتمي له، وتناسجَ في وعينا على نحو ما، فلماذا يصر الخطاب الأصولي على تقديم الإسلام في صياغات فئوية محددة، تدَّعي أنها تمثل الإسلام الصحيح، ولا تعتبر نفسها مجرد صياغة من الصياغات الإسلامية؟

وبمعنى آخر: إن الحقيقة الإسلامية واسعة، وقد اتسعت في الماضي لكي تشمل «شبلي شميِّل»، و«فرح أنطون»، و«قسطنطين زريق»، و«مكرم عبيد»، و«سلامة موسى»، و«فارس الخوري» المسيحيين، بصفتها وعاءً حضارياً، فما الذي يتناقض مع مبادئ الإسلام في إطار هذه الحقيقة الواسعة؟

د. عكام :

يحرص علماء المنطق على تعريف الأشياء بحدود تضمن دخول مفردات النوع الواحد تحتها، وتُخرج ما يغايرها في ماهياتها منها.

والسائل الكريم يحاول استخدام أجناس بعيدة لا يحتملها الحد، وهذا، كما يقول المناطقة، مَعيب عند أهل النظر.

ليس الإسلام قرآناً وسنة فقط، هذا صحيح يا هذا، وفي الوقت نفسه ليس بتراث حضاري ساهمت في تكوُّنه ثقافات وحضارات وشعوب متعددة فقط أيضاً، وإنما هو هما معاً، وانتماء المودودي ثابت لهما، وانتماء غيره ممن ذكرت غير ثابت، فلماذا القصر على بعض المعاني في ناحية، ورفض القصر في ناحية أخرى ؟

وأي جمع هذا الذي تقوله حين تقبل رفد كلمة «ماركسي» بـ«مسلم»، أو «مسلم بماركسي» ؟ والماركسي يرفض حد المسلم، فكيف نحمّله إياه ؟

وكذلك المسلم يرفض حد الماركسي، فكيف نجمعه به تحت قنطرته ؟

لقد ذكر علماء المنطق أيضاً؛ أن حدّي القضية ينبغي ألا يكونا متناقضين، وإلا فالقضية باطلة تصوراً وواقعاً، وإن كان الإنسان قادراً على لفظها، فأنا أستطيع أن ألفظ عبارة «رجل مسلم مسيحي»، ولكنني لا أستطيع تخيله أو تصوره، إذ مجرد الدخول تحت حدّ أحد المفهومين، يُخرج الرجل من حد المفهوم الآخر تلقائياً.

نحن نرفض التفرد إذا كان قائماً على التفريق التعسفي، فلا نرضى أن تدعي فئة ما احتكار الإسلام لها، وتسحبه من غيرها؛ إذا كانت الفئة الثانية تمتلك الانتماء الكامل الواسع بخطوطه العريضة وأطره العامة، فهي تؤمن بالله رباً، وبمحمد نبياً رسولاً، وبالقرآن كتاباً من عند الله، وبالإسلام ديناً شاملاً حياتياً رسالياً، وإن اختلفت الاجتهادات في مظانها بينهما، وأدّت إلى ما أدت إليه.

لقد فهمتُ من كلامك أن الماركسية في دنيا العرب صياغة من الصياغات الإسلامية ! فهل المسلمون في الاتحاد السوفيتي صياغة من الصياغات الاشتراكية الشيوعية ؟!

الحرية :

طرح «محمد عبده» منهجاً جديداً لفهم الإسلام، وهو في أقل حال مسلم لايشك أحد

على العقل أن يتعامل مباشرة مع القرآن، وله أن ينتج ماشاء من الفهوم الموصولة بألفاظه وصلاً لغوياً ودلالياً صحيحاً

بصحة إسلامه، ويقوم هذا المنهج على إتاحة الحرية الكاملة للمسلم العادي جداً أن يفهم القرآن، و يفتي لنفسه بمجرّد امتلاكه لقواعد الحد الأدنى في القراءة والفهم.

ألا يمكن اعتبار منهج «محمد عبده» خياراً لتحرير الوعي الإسلامي من فتوى «الفقهاء»،وإتاحة الفرصة لهم لكي ينتجوا الفتاوى التي تنسجم مع حياتهم ؟

د.عكام :

ما ذكرته عن «محمد عبده» لا يختلف فيه اثنان من علماء المسلمين، فالقرآن لدى جميعهم خطاب الله للعقل في كل العصور والأزمان، وليس لعقل في زمن محصور، وعلى العقل أن يتعامل مباشرة مع هذا الخطاب، وله أن ينتج ما شاء من الفهوم الموصولة بألفاظه وصلاً لغوياً ودلالياً صحيحاً، وما فَهْمٌ بأولى من فهم في الاعتبار، إذا استوفى شرائط الاستنباط، فالظنيات لا تتعاير على بعضها، هكذا يقول علماء المنطق.

وفي الوقت نفسه، من الذي يمنع الاستعانة بما سبق من تفسير وتوضيح لهذا الكتاب المقدس الكريم ؟ بل من الذي لا يوجب الاستهداء بمبيِّن صادق ذكي العقل وَحيٍ من الله الحق ؟ من الذي يحجر على أصحاب العقول تفكيرهم إذا اتخذوا القرآن الكريم نبعاً ثراً يرتشفون منه، ومصدراً فيّاضاً يردونه ؟

الحرية :

أعتقد أن لا مستقبل للإسلاميين خارج اندماجهم في الحركة الديمقراطية العامة، التي تتيح الحرية والمساواة أمام العقائد برمتها، وتصونها قولاً وفعلاً، فـ«الديمقراطية» اليوم هل تتعارض مع قول الرسول ﷺ : [أنتم أعلم

بشؤون دنياكم] ؟

لقد تطورت «الدنيا» على نحو هائل، وفرضت حقائق نهائية، ليس أولها تساوي الذكر مع الأنثى في الشهادة والميراث مثلاً، والمساواة المدنية الكاملة.

لقد حدد الإسلام حقائق في ضوء تطور مجتمعه، وانسجمت هذه الحقائق مع هذا التطور على نحو ما، إلا أن هذه الحقائق الجديدة النهائية تبدو في عالمنا كحقائق اجتماعية بحتة، وبذلك هل يمكن للإسلام كدين حيوي واكبَ عصره، ويرى نفسه مواتياً لجميع العصور «لكل زمان ومكان»، أن يتخطى الحقائق الجديدة النهائية لعالمنا المعاصر، ويبقى ديناً صالحاً لكل زمان ومكان. إن عقلية «الدين» وعقلية «الكومبيوتر» متناقضتان بنيوياً، ألا يمكن ترك عقلية «الدين» تحكم العلاقة بـ «الآخرة» فقط حسب تعبير الكواكبي، وترك عقلية «الكومبيوتر» تحكم الدنيا ؟

د. عكام :

القطعي والظني في الإسلام كفيلان بتحقيق التغطية الشاملة لكل المستجدات، وسعة دلالة ألفاظ النص قادرة على استيعاب كل شيء، والتاريخ بحوادثه شاهد على ذلك.

وما يجب فعله حاضراً؛ من بحث وتمحيص واستنباط واجتهاد من قبل علماء المسلمين المتخصصين، سيكون مدعاة للاطمئنان.

قال مرة أحدهم، وهو نقيب محاماة في مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي الذي عقد في باريس / ١٩٥١/ م[٤]:

« أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يُحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي، وعدم صلوحه أساساً تشريعياً يفي بحاجات المجتمع العصري المتطور، وبين ما نسمعه الآن في المحاضرات ومناقشاتها، مما يثبت خلاف ذلك تماماً، ببراهين النصوص والمبادئ».

انظر المدخل الفقهي الجزء الأول المقدمة للعلامة الفقيه مصطفى الزرقا.

وأنا أقول اليوم قوله، وأردد حديثه :

لاأعرف كيف أوفق بين ما ينسبه دعاة

(٤) التاريخ قديم نسبياً، ولكنه ليس أقدم من الأسئلة التي يطرحها السائل هنا، وأسلافه ممن سبقه، فالقضية تكاد تكون خطأ في التاريخ معروفاً مستمراً طبيعته المسألة والمساءلة.

العلمانية للإسلام من قصور، وبين واقع الإسلام، وحقيقته التشريعية والأخلاقية، وهل يعرف هؤلاء أن مصادر الإسلام الأصلية والتبعية «القرآن، السنة، القياس، الاستحسان، العرف، المصلحة المرسلة» كفيلة بالإحاطة بكل جديد؛ توصيفاً وتأطيراً وربطاً بالعقيدة والأصول الإسلامية؟

وإذا كان السائل يحرص على التصنيف والتفريق بين عقلية «الدين» وعقلية «الكومبيوتر»، فإننا لا نحرص على هذا، لأننا نملك تصوراً آخر يقدر في ترجمته العملية على الجمع بينهما، فـ«الدين» موضوع، و«الكومبيوتر» طريقة، ولاتعارض بينهما، إلا أن يريد السائل إخضاعنا لآلة العصر وربطنا بها على أننا من أجزائها، وإذلالنا لتحكماتها، وإبعادنا عن ساحة الريادة في الكون إلى قعر الخضوع له؛ عندها ستدق الساعة الخامسة والعشرون، ويومها يحدق الخطر، ويضيع في الإنسان جوهره، لقد علّم الإسلام أتباعه قولة رائعة رائدة، في ميدان التوازن بين المادة والروح، والدنيا والآخرة، وأمرهم أن يُسمعوها آذان الباترين من كلا الصنفين: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار﴾ البقرة/ ٢٠١.

الحرية:

ألا ترون أن «تسييس الإسلام» هو أمر مفهوم اجتماعياً، بمعنى أن الاجتماعي هو الذي يفسر الديني، وليس الديني هو الذي يفسر الاجتماعي، غير أن تحقيق المؤمنين لحريتهم لايتم عبر «تسييس» الدين، والذي يضطهد حرية غير المؤمنين؛ بل عبر خيار ديمقراطي يحققون فيه حريتهم، ويكونون فيه سادة أنفسهم.

إن أي ديمقراطي، أوماركسي، أوليبرالي، أوقومي صادق، ونحن نعلم أن هناك مسلمين غير صادقين أيضاً لا يصح القياس عليهم، لا يمكن أن يعتبر أي انتهاك لحرية المؤمن إلا كانتهاك مباشر لحريته.

الموقف الديمقراطي يفترض الدفاع عن الحرية الكاملة للمسلم في مزاولة عقيدته، مع أنه قد يكون غير مستند للإيمان بالضرورة، فهل في ذلك عداء للإسلام؟

د. عكام:

لعل جواب هذا السؤال غدا مفهوماً من

ليس العنف وليد الإسلام السياسي، أوالإسلام الشامل ولكنه وليد إفراط أوتفريط، في فهمه وتفهيمه

أثناء الأجوبة السابقة، فإن كان التأكيد نافعاً قلت:

على الإنسان أن يتعامل مع المفاهيم والأشياء تعاملاً واقعياً، غير جاهل طبيعتها أومتجاهلها، فإذا كان الإسلام بطبيعته ونصوصه ومبادئه سياسياً مسيِّساً ومسيَّساً، فكيف يجوز لنا رفع خاصة أساسية فيه ؟!

الحرية :

العنف ليس الإسلام، ولا أية عقيدة أوإيديولوجية هم الذين يولّدون العنف، ولكن الشروط الاجتماعية هي التي تولد العنف، إن كل عالم «الردَّة» في انكلترا لا يولد عنفاً من المسلمين فيها ضد مظاهره، حسناً إنها «دار كفر» تستوجب «الجهاد» بمعناه العنفي المباشر، ولكن مسلمي انكلترا لا يفعلون ذلك.

إن أنظمة ديمقراطية تكفل حرية المؤمنين في مزاولة عقائدهم، بمن فيهم مؤمني الديانات غير الإسلامية، على قاعدة «المساواة الدينية»، وليس «الذمة»، هي التي تكفل الخلاص من العنف، وأن يكون الإسلام إيديولوجية «عنف» في مجتمعاته نفسها، أليس أمراً يعود إلى خلطه بالدولة ؟

إن مستقبل إسلام بلا عنف هوإسلام بلا سياسة، ويصح ذلك أيضاً على المسيحية واليهودية، فاليهودية نفسها لا مستقبل داخل اندماجها بالصهيونية مثلاً سوى العنف.

أليست العلمنة الكاملة والدمقرطة الشاملة هي الخلاص للجميع والتحقيق الأكمل لحريتهم؟

د. عكام :

ليس العنف وليد الإسلام السياسي، أوالإسلام الشامل، ولكنه وليد إفراط أوتفريط، في فهمه وتفهيمه، ووليد ادّعاء فئة منه، أنها هو دون غيرها، بالرغم من وجود

صفاته، وشرائطه العامة لدى غيرها، ومن ثم تعاملها وسلوكها على هذا الأساس القاصر.

ووليد رفعه دونما دليل، وإخراجه حين قبوله عن ساحاته، واحتقار فهوم أتباعه، من خلال قصر عبائره ونصوصه على بعض ما تدل عليه، ومحاولة منع المسلمين من فهمه على اتساعه وشموله.

وهل يبقى الإسلام كما هو إذا انحسر على حد زعمك عن مجالات الحياة أو بعضها، ورضي بالتبعية لشرق سلك الطريق الأعنف في وصوله، أو لغرب لا يأبه بإبادة الكثيرين، إذا وقفوا عقبة كأداء في تحقيق أطماعه ومآربه؟

هل «الدمقرطة» أن يتخلى الإسلام عن كليته لأبعاض تريد أن تكون كلاً؟

وقد ألمحنا سابقاً أنَّ الإسلام عندما يحكم يحقق «الديمقراطية» (٥) أكثر من العلمانية عندما تستولي، فلماذا ندعو الأخيرة إلى السياسة، ونعيب على الإسلام تدخله فيها وهو أبوها ووليُّ أمرها؟

لقد قاتل أجدادنا(٦) المستعمر ببسالة نادرة، يريدون إخراجه من سورية الغالية، وكانوا في عينه ونظره عنيفين، وإن كانوا في قناعته غير ذلك، بالرغم من أنه يزعم إرادة الخير لهم، والعمار لبلادهم، وإقامة شعائر دينهم أحياناً.

فهل كان قتالهم له، وجهادهم عنفاً مقبولاً أو مرفوضاً؟ لا سيما وأنَّ أكثرَهم كان الإسلامُ دافعَه، والدينُ محركَه، والعقيدةُ حافزَه؟

هل تريد للمسلمين، يا سائلي، أن يسكتوا عن جزء من دينهم لضمان جزء آخر؟ أم تريدهم ساكتين عن حقوقهم في فرنسا، وقد تجاوز عددهم العُشر تقريباً؟

أم أنك تسمح للأفغانيين أن يقاتلوا ويعارضوا، ولكن شريطة أن لا يكون ذلك باسم الإسلام، وإلا فهم عنيفون؟!

سامحك الله، لقد نجَّمتَ فقلت: إن مستقبل إسلام بلا عنف، هو إسلام بلا سياسة، وأنا أتوقع، ويكاد يكون تيقناً، أن مستقبل دنيا بلا عنف وإرهاب، مستقبل إسلام شامل عام كامل، سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً وعقدياً.

وإذا كنت تقرر «العلمنة» طريقاً

(٥) الديمقراطية هنا، استخدمتها مشاكلة، كما يقول علماء البلاغة.

(٦) انظر «تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي» لأنور الجندي.

للخلاص، فما لي سوى المقابلة الحوارية طريقاً لأقول:

إن الإسلام بتعاون العقلاء على فهمه، والمنفذين على تطبيقه، والأخلاقيين على تبنيه، هو طريق خلاص الإنسان ونجاته من شر قد اقترب.

وليعلم الناس أن الحوار إذا دخل من الباب هرب العنف من الشباك، فهل يهيئ أرباب الأمور لحوار مفتوح حقيقي؟ وهل يتابع طلاب الحوار طلبهم له، وحرصهم عليه، أينما كانوا وحيثما حلّوا، إنْ في القبو أوعلى السطح؟

هذا ما نأمله، وإنّا لحوار يرتّب آثاراً، وينتج تغييراً على الصعد المختلفة لتواقون.

الحرية:

ليست «العلمنة» في محتواها مجرد فصل قانوني للدولة عن الدين، وهو الأمر الذي تقره شكلاً الكثير من الحكومات، ولكنها منظومة فكرية ثقافية اجتماعية تنقل المجتمع من مرحلة علاقات ما قبل المدينة الأمة، إلى مرحلة العلاقات «الأموية» نسبة إلى أمة، فلا تتوفر الأمة في علاقات طائفية، مذهبية، عشائرية، عائلية...إلخ.

فما موقع الإسلام في إطار هذه النظرة للمحتوى الفعلي للعلمانية.

د. عكام:

إذا كانت «العلمنة» في تعريفك «التطلُّعي» أي هكذا تأمل أن تكون، والأمل حلو وجميل، منظومة فكرية ثقافية اجتماعية تنقل المجتمع من مرحلة علاقات ما قبل المدينة، إلى مرحلة علاقات الأمة، فإني أحب أن أضع في المقابل تعريفاً حقيقياً للإسلام، الذي يزيد المنظومة المذكورة بُعداً عقدياً أيضاً وبعداً تاريخياً، وقد نقل فعلاً المجتمع من علاقة العشيرة والعائلة، إلى علاقة الأمة المكتملة بخصائصها ومقوماتها، من عقيدة، وسلوك، ومنهل تاريخي واحد، ولغة مشتركة تعبّر عن فكر مشترك.

وانظر تأكيداً لهذا ما ورد في القرآن الكريم من آيات فيها لفظ أومصطلح «الأمة»، وما أكثرها!

وعلى سبيل المثال، ما قاله الله تعالى:

﴿إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ الأنبياء/ ٩٢.

وانظر أيضاً دستوراً وضعه النبي ﷺ عقب هجرته مباشرة إلى المدينة المنورة، ووصوله إليها، وأورد فيه لفظ الأمة، ودعا إلى إقامة العلائق على هذا الأساس، فكان سابقاً بذلك إلى ما ترومه وتريده، أيها السائل الكريم.

أخيراً:

شكراً لكم محاورين، وآمل المتابعة، وإني على رجاء من العليّ القدير كبير، أن يوفق الجميع للوصول إلى جادة الحق والسلام، وأن يهيأنا لمرضاته، وخدمة شريعته، والذود دون عنف عن بلادنا وأمتنا.

وإلى لقاءات في حوارات قادمة، بعون الله.



حوار جريدة الجماهير ١

منهج الجوع عبر فريضة الصيام

جريدةالجماهير. حلب.

العدد: /٧٧١١/.

تاريخ: ١٤١١/٩/٢هـ - ١٩٩١/٣/١٧م

أجرى الحوار: محمد فؤاد العجيلي



الجماهير

قال الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾. البقرة/ ١٨٣.

لقد منّ الله على المؤمنين إذ جعل لهم مواسم للمغفرة والرحمة، يُقبلون فيها بقلوب صافية، ونفوس راضية، إلى ربهم سبحانه وتعالى.

ومن هذه المواسم العظيمة، شهر رمضان المبارك، الذي حل ضيفاً عزيزاً علينا، شهر العلم والمعرفة، شهر القرآن العظيم، شهر النصر والخير، شهر بدر والفتح وتشرين، شهر الطاعة.

وعلى هامش هذه الذكرى الكريمة، وحلول هذا الشهر المبارك، التقينا فضيلة الدكتور محمود عكام، خطيب جامع التوحيد، والمحاضر في جامعة حلب. فكان لنا معه الحوار التالي:

الجماهير:

ماذا تحدثنا فضيلة الدكتور عن حلول شهر رمضان المبارك؟

د. عكام:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين:

الحديث في رمضان، له خاصيته ورونقه، إذ يشعر المتحدِّث أنّ ما لديه من عوائق كثيفة مادية ذهبت، وما يمكن أن يكون مانعاً من تجليات الروح الصافية ولّى، ولهذا إنْ تكلمت

عن رمضان، فإنما يكون ذلك بفضل رمضان ومنه وإليه، ولقد صدق رسولنا الكريم ﷺ حين وصف دخول رمضان بقوله، كما جاء في سنن الترمذي:

[إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلِّقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب، وفُتحت أبوب الجنة فلم يُغلق منها باب، وينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرّ أقصر، ولله عتقاء من النار كل ليلة].

الجماهير:

هل لنا أن نتساءل عن منهج الجوع في شهر رمضان ؟ ما هي محددات هذا المنهج...؟ وما هي مقوماته في الإسلام...؟

د. عكام:

إذا كانت المناهج، بشكل عام، تتحدد بوجود مقوماتها، وهي:

- النية.
- السلوك
- الهدف.
- والعلم المكتنف، ويُسمى فلسفةً، أو تأطيراً نظرياً.

لكنها تتفاضل بتفاضل هذه المقومات نوعاً وجودة، وتقاس الجودة بقدر اقتراب المقومات من الإنسان، وملامستها لحقيقة وجوده الشكلي: الجسدي والمادي، والارتباطي: الانتمائي، إيجاباً، أوانتفائها سلباً. ذلك أن الإنسان هو محور الوجود المشهود، ومنطلق التكليف المعهود.

وحين نتحدّث عن الصيام، نتحدّث عن منهج للجوع الذي شاع لدى الناس؛ في عالمنا اليوم، وأصبح على كل لسان، ومنْ منا لايسمع بنظام الغذاء (الريجيم) ولاسيما في أوساط المترفين...؟!

إلا أن هذا المنهج لدى الآخرين، حين ننزِّله وفق المقومات المذكورة، فلا تعدو النية فيه أن تكون أمراً نابعاً من دافع حب البقاء، والسلوك لا يتجاوز الحرمان الجسدي، أما الهدف المنشود؛ فما هوإلا التخلي عن بضعة أكيال من الوزن، إذ كانت عبئاً على الحركة التي قد تكون أسوأ من عدمها، لما تنتج من ضرر للإنسانية والإنسان.

أما الجوع في الإسلام عبر الصيام فمنهج يلامس الإنسان، ويرعى وجوده المادي

الجوع في الإسلام عبر الصيام منهج يلامس الإنسان، ويرعى وجوده المادي والروحي والانتمائي

والروحي والانتمائي.

فالنية فيه: امتثال أمر الخالق المنعم، فلقد ورد أن النبي ﷺ قال، كما روى البخاري في صحيحه: [من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه].

والسلوك: اجتناب لكل مفطر حساً ومعنى؛ من طعام وشراب وغيبة ونميمة وحقد وغل وحسد وقول زور وخيانة وشح وجهل، وهاهي ذي أحاديث المصطفى ﷺ تبين ذلك إذ يقول واحد منها، كما ورد في البخاري: [منْ لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أنْ يدع طعامه وشرابه].

وأما الهدف: فالتقوى، وما أورعها من هدف ! وما أعظم آثارها ! وأكرمْ بنتائجها ! إذ تضع الشجاعة والثبات والمراقبة والمحاسبة في مساراتها الصحيحة، لتفرز في الواقع صفحات مجد، وسطور عز، وهل «بدر» و«الفتح»، وهما من أعظم غزوات الإسلام، إلا من بركات رمضان، ومنهج الصيام..؟ ويالروعة ما تنتجه في الآخرة وحسبنا في ذلك ما قاله الرسول ﷺ مخبراً عن ذلك، كما روى البخاري: [إنّ في الجنة باباً يُقال له: « الريان» يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل أحد غيرهم].

وحين نتحدث أخيراً عن العلم المكتنف، أوالتأطير النظري، والفلسفة المعرفية: فما أحرانا أن نشير إلى كتاب الله، والآيات التي تتحدث عن الصيام، وأحاديث الرسول ﷺ التي حكت عنه مفصلاً، وما كتبه العلماء المهتمون في ذلك استنباطاً وفقهاً، لنرى ذلك كبيراً وعظيماً في كمه وحجمه ونوعه !.

فإلى الجوع وفق تعاليم الإسلام، لنحوله إلى صيام، فتتحقق التقوى، وتثمر بدراً وفتحاً من جديد، وإنّا ليوم الوعي الكامل من أمتنا كلها لمناهج حياتنا الشاملة لمنتظرون.



حوار جريدة الجماهير ٢

في ذكرى الهجرة:

فلنهجر الشر، ولنهاجر إلى الخير

جريدةالجماهير. حلب.

العدد: /٧٧٩٨/.

تاريخ: ١/١/١٤١٢هـ - ١٢/٧/١٩٩١م



الجماهير :

ها هي السنون والأيام تمر، وتترك ذكريات عدة، تختلف باختلاف الفرد ذاته من حالة إلى حالة ،وبالأمس ودّعنا عاماً هجرياً، واليوم نستقبل آخر، والهجرة لها عدة معان، وفيها عدة دروس وعظات، وبهذه المناسبة الخيرة أدلى الدكتور محمود عكام خطيب جامع التوحيد والأستاذ المحاضر في الجامعة، والمسؤول عن التعليم الشرعي بحديث خاص للجماهير، أوضح فيه المعاني الساميه للهجرة، فقال :

د . عكام :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من هاجر لله، فأثابه الله فتحاً عظيماً مبيناً. أما بعد :

منذ أيام؛ ودعنا موسم الحج والنحر والتشريق، واليوم؛ نستقبل ذكرى الهجرة النبوية العظيمة، لنسجل عبر الأولى نهاية سنة مضت، ونضع من هذه الثانية ورقة بداية لسنة جديدة آتية، تأخذ اسمها من حدث كان الأبرز في حياة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ، إذ إنه :

أولاً: حولنا من دعاة إلى قضاة، ومن أفراد إلى جماعة منظمة واعية هادفة، ومن مرحلة كانت الدعوة هي السمة الأساسية فيها، إلى أخرى حددت معالم دولة الأمان والعدالة فيها تنظيراً وتطبيقاً، وذلك من خلال دستور المدينة الذي قعّده المصطفى ﷺ بوحي رسالة الله إليه، والتطبيقات الرائدة في عالم بناء المجتمعات من «مؤاخاة بين المسلمين» شهدنا آثارها في نموذجيتها اليوم لعلائق نبتغيها اليوم، و«عهود» و«مواثيق» أبرمها

المسلم الذي لا يهاجر من سيء إلى حسن مسلم عاصٍ لا يستحق وسام الهجرة

مع غير المسلمين، فكانت الأرقى في عالم تنظيم صلات وروابط من اختلفت دياناتهم ومذاهبهم في الأمة الواحدة، و«بناء المسجد» الذي لا معدل للمسلمين عنه في بث روح الجماعة بينهم، وإيقاد جذوة الإيمان فيهم وتثبيت جذور الإنسانية الواعية المستوعبة لديهم.

كما أنه ثانياً: أقام فيصلاً حاسماً حازماً بين المبدأ الذي لم يتجذر داخل معتنقه، وبين الدِّين الذي خالطت بشاشته القلوب، فجعل من صاحبه مضحياً بكل شيء، حتى ولو كان هذا المضحى به أحبّ بلاد عنده، فنادى به ودعاه إيماناً، وتلكم سورة «البقرة» في أوائلها تبين ذلك تبياناً يفوق قدرات الإنسان في التعبير، ومكناته في الإيضاح والتفسير، لاسيما وأنها الأولى من أخواتها التي نزلت في المدينة المنورة، عقب الهجرة الشريفة: ﴿ألم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون... ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون...﴾.

ويبقى هذا الحدث ثالثاً: الرمز الرائع للهجرة الإيجابية التي ينبغي أن يحياها المسلم في سلوكه وأفكاره وأخلاقه، والتي تعني دوام الارتقاء واستمرار التحسن، فالمسلم الذي لا يهاجر من سيء إلى حسن مسلم عاصٍ لا يستحق وسام الهجرة، لأن المهاجر غدا في تعريف النبي ﷺ: [هومن هجر ما نهى الله عنه].

والمسلم الذي لا يهاجر من حسن إلى أحسن مسلم مغبون، كما سمّاه صاحب الذكرى ﷺ حين قال: [من استوى يوماه فهومغبون]، غبن نفسه حقّها، فلا يستحق وسام الهجرة من الدرجة الأولى، وكيف يناله، وقد غمط عقله وقلبه حقوقهما، فبقي في الحسن يومين، والوقوف في فيزيائنا يعني

التراجع ؟!

والحدث هذا **رابعاً:** يدعو المسلمين للارتباط بالوطن، والتفاني من أجله، والسعي الجاد لبنائه بناء إنسانياً أتم وأكمل، أوليس النبي ﷺ قال بعد أن هاجر من مكة، وعاد إليها فاتحاً: [لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية]، فهل يعني هذا إلا أن الهجرة أضحت بناء وطن، ورعاية أمة، وحماية حدود من عبث العابثين، وكيد المعتدين؟

أما خامساً: فالهجرة درس علمنا الصلة مع الله ضرورةً إنسانيةً، وأملاً أكيداً يمد الإنسان بحوافز العمل الجاد الصحيح، وهيهات للإنسان أن ينفصم عنها أو أنْ يُعرى منها، لأنه بها ومعها مقدام لا يتراجع، وعزيز لا يخنع، ومجاهد لا يستسلم، وهمام لايتقهقر، فما أروعه من درس صاغه لنا القرآن ! حواراً بين سيد البشر وصاحبه في الغار: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا﴾ التوبة/ ٤٠ .

أخيراً، في وداعنا للسنة الماضية نبتهل إلى العلي القدير، أن يغفر لنا طالح ما اقترفناه، وأن يتقبل صالح ما جنيناه فيها، واليوم؛ وفي استقبالنا للسنة الآتية، نرفع أكف الضراعة له عزوجل طالبين منه، راجين من عطائه، أن يجعلها سنة خير عميم، وفضل وفير، علينا وعلى وطننا الحبيب، نتفيأ ظلاله أعزاء، ونشرب ماءه أقوياء، ونحصد ثماره صباح مساء، ونحمي حدوده شجعاناً كرماء، فنعمَ الوطن وطن يهجر أبناؤه الشر، ويهاجرون على الدوام إلى ساحات الخير، وبئس الوطن وطن ضيّع أبناؤه المعاني، وأساؤوا إلى المغاني. فما أجملك أيتها الهجرة النبوية الشريفة، من مدرسة ينتسب إليك دعاة الفضيلة في بلادنا ليسودوا، وطلاب الحقيقة فيها لتعلو رايتهم.



حوار مجلة المصور الجديد

مجلة المصور الجديد. دمشق.

العدد: /٩٨٢/. تاريخ: آذار/١٩٩٠.

أجرى الحوار: ساهر يحيى



المصور الجديد :

في ظل المتغيرات الأخيرة على الساحة العالمية، وانعكاساتها على الساحة العربية، سؤال يطرح نفسه علينا مجدداً وبإلحاح، بكل ما فيه من أبعاد اجتماعية وسياسية وحضارية، هذا السؤال هو :

أين الإسلام من هذه المتغيرات ؟! أين موقع الإسلام منها ؟ وما مدى تفاعل الإسلام معها ؟

فالإسلام مايزال متهماً عند أعدائه، ولايزال بعضهم يراه بلا منطلقات حضارية.

ولعل الحالة التي آل إليها العرب أخيراً، كانت المستمسك لهؤلاء لكي يطعنوا بالإسلام، وقصوره الحضاري عن إقامة هيكلية لدولة إسلامية حضارية، وخاصة تلك الموروثات، من قشور ظاهرة للعيان ترفل بها بعض الشرائح الإسلامية، البعيدة كل البعد عن الإسلام وعقلنته وفكره العلمي ودعوته للمسلمين، وللعالم، إلى العقل، بما تركه من ثوابت لايأتيها الباطل، من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وبما يرد فهماً من معين ثرٍ من فقه تناول كل مناحي الحياة الإنسانية.

المفكر الإسلامي فضيلة الدكتور الشيخ محمود عكام، في هذا الحديث يوجز لنا طويل الإجابة، ويضع النقاط على حروف، ويمسح عن بعضها الآخر الضبابيات التي تهوم فوقها.

وأول هذه الأسئلة الملحة هو :

المصور :

فضيلة الدكتور محمودعكام، هل الإسلام حضارة فاعلة منفعلة وركيزة لمنطلق حضاري ؟

د . عكام :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله،

حضارة الإسلام حضارة متوازنة متكاملة ربانية المصدر، إنسانية الموضوع

والصلاة والسلام على رسوله وآله، وبعد:

كلمة شكر أضعها بين أيديكم في البداية، ورجاءٌ أرفعه إلى الله بعدها، أسأله فيه صدقَ عطاءٍ خيّر، ونبلَ هدفٍ مستمر لمجلتكم الميمونة (المصور الجديد).

ولا يمكن أن يكون غير الإسلام منطلقاً لحضارة منشودة يسعى إليها الإنسان، ذلك أن حضارة الإسلام حضارة متوازنة متكاملة، ربانية المصدر، إنسانية الموضوع، شعاعها ينبثق عن الخلاّق العليم؛ ليلامس الإنسان المخلوق المصطفى صاحب الأمانة، وقائد مركب الخليقة، في بحر الحياة الزاخر، إلى شواطىء الولاء لمن صدر عنه الإشعاع والهدى ومناهج الإعمار والإصلاح.

والحضارة إنما تعني في أصلها اللغوي: «الحضور»، والإسلام أكبر حاضر في التاريخ على الواجهة الانسانية إذ استوعبها روحاً وجسداً، فرداً وجماعة، مادة وقيماً، وما في القرآن الكريم والسنة الشريفة من آيات وأحاديث، كفيل بالتأكيد على هذا، وفيما ضمته صحائف التاريخ، وسطرته براهين لاتمحى من ذاكرة السنين.

ألم يُدعَ إنسان الإسلام إلى التفكر، ويُحضّ على العلم، وينادى للوحدة، ويُطالب بالبناء، ويُحث على فعل الخير وقوله؟ ألم يُرغب بالحب، ويُؤمر بالإنتاج، ويُعزز بالتقوى، ويُزين بالعفة؟

أليست الحضارة إلا هذا؟ وقد قال ابن خلدون عنها: إنها عمران وزمان برعاية الإنسان.

المصور:

ما موقع العالم الإسلامي في إطار النظام العالمي الجديد؟

د. عكام:

إذا كان المقصود بالنظام العالمي الجديد ما أسفر عنه سقوط المنظومة الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية من تفرد النظم الغربية الرأسمالية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في الساحة، فإننا نعتقد أن الإسلام من خلال عالمه المترامي، وأفراده المتناثرين، مدعو إلى التوحيد والتجديد ليقف وقفته النِّدِّيَّة المطلوبة.

أما **التوحيد** فيعني اللقاء الأمثل بين الحكومات المتعددة، وبينها وبين الشعوب على محاور مستمدة من دينها. وإعلان الهوية الجامعة علناً وصراحة، والابتعاد عن أي صيغة مفرِّقة، عرقية كانت أو مذهبية أو سواها.

وأما **التجديد** فهو السعي الجاد من قبل المفكرين المسلمين في كل الأصقاع لإيجاد بنيان معرفي معاصر، واستراتيجية ثقافية واحدة، مأخوذ من منابع ديننا الحنيف، وتقديمه للعالم على أنه نظامه الداخلي. له حصانته التي يمنحها تلاحمًا، وله مؤيداته الأخروية التي غابت عن ذهن الإنسان المادي اليوم بسبب من إهماله الأبعاد الحقيقية للإنسان والكون.

ولا أريد أن أتحدث عن الدور المرسوم للعالم الإسلامي من قِبَل مَن قد صنف نفسه سيد العالم، أو النظام العالمي الجديد. فالدور عندئذ تبريرٌ، وتكريسُ ولاء، وطاعةٌ للسيد المطاع، وتبعيةٌ خانعة، ودورانٌ في الفلك؛ نتلقى الخسوف فيه والكسوف.

ومن المؤسف أن هذا الدور بدأ يُمَرَّر على بعض الدول في عالمنا الإسلامي، وبعض الأفراد، وقادة أشباه الدول أو أوهامها، وقد أمل بعض الصحفيين الغربيين أن يظهر في العالم الإسلامي نظير "غورباتشوف" الاتحاد السوفييتي ليعقبه "يالتسين" كـ: "يالتسينهم" ولكن هيهات... ساء ما يحكمون، وبئس ما يؤملون.

و أملنا أن تكون سورية واحدة من الدول التي ستدحض أمل المغرضين وكيد المعتدين.

المصور:

هل بالإمكان قيام هيكلية الدولة الإسلامية المعاصرة في إطار القوانين الناظمة في العالم الحديث ؟

الدولة الإسلامية هي التي تتخذ من الإسلام منطلقاً ومن العدل أساساً، ومن الشورى أسلوباً، وليس مهماً بعد ذلك تسميةٌ معينة أولقب للقائم عليها محدّد

د. عكام:

الدولة الإسلامية تلك التي تقوم على ركائز بينة، وقواعد محددة، فهي التي تتخذ من الإسلام منطلقاً ودستوراً، ومن العدل أساساً، ومن الشورى أسلوباً ومنهاجاً، وليس مهماً بعد ذلك تسميةٌ معيَّنة أو لقب للقائم عليها محدّد، والطرق المؤدية إليها، دعوة جادة صادقة، تتحول إلى مطالبة أغلبية كبيرة، يبرمجها أكفاء يسمّون أهل الحل والعقد، عبر قناة البيعة العامة. والمطلوب ممن يصل إلى المسؤولية العامة؛ أن يتعرى عن الدماء البريئة، ويرفض القهر والتسلط، وسيلة لبسط السلطة الشرعية، وأن يحقق ملامح الحق ويظهرها في قوانينه وتشريعاته، والقوانين الناظمة الحديثة للدولة إن راعت هذه القواعد كانت ضمن الاطار الإسلامي، وإلا فلا.

وليست الدولة التي يحرص عليها الإسلام تلك التي تلزم جانب الحياد فيما يخص الدين ومصدره، بل لا يمكن للإسلام أن يُرعى بإطار سياسي من غيره، وهو الذي يطرح ذاته إطاراً حاكماً، ومضموناً اجتماعياً، ونظاماً متكاملاً لكل جوانب الحياة.

وكل ما يمكن قوله عن دولة الإسلام أو عن أسرته أو عن اقتصاده أوعن علائقه العامة: أنه نظام رباني المصدر، كامل الاستيعاب، تام المعالجة، فهل من نظير أومثيل؟

المصور:

كيف نفهم كتاب الله اليوم؟ هل نقرأه كما قرأه السلف من قبل أم نقرأه اليوم كأنه ينزل علينا؟

د . عكام :

القرآن الكريم كتاب الله ورسالته الخالدة إلى الناس ، تمّد الأجيال المتلاحقة بكل ما تحتاجه ، شريطة أن تمتد إليه الفهوم الواعية ، والعقول الناهضة النيّرة ، التي تدرك أبعاد دلالاته ، وطبيعة نظامه المعرفي ، وبنيته اللغوية ، وواقع المخاطَب ومجالاته وظروفه وبيئته ، ومن ثم تحسن الربط بين الخطاب والمخاطَب . ولا يمكن أن نقف عند حدود عصر من العصور للقرآن الكريم ؛ لنفرضه على بقية العصور التالية ؛ بل إن هناك ثوابت تتخلل كل العصور يسميها علماؤنا «القطعيات» ، وهناك تنزيلات تتناسب وكل زمن وأحواله ، ترعاها وتغطيها وتكتنفها .

وأخشى ما أخشاه في هذا السؤال ؛ أن يقفز الذهن إلى ما يسمى بـ«القراءة المعاصرة» وهي كلمة ومصطلح جيد إلا أن استخدامها لم يكن على مستوى جودة التركيب فيها ، فقد حُوِّلت إلى أداة لنسف الماضي ، وتعميم نقطة في الحاضر عليه وعلى المستقبل ، « أنا أقرأ القرآن وكأنه علي أنزل » هذا صحيح ، ولكن التراكمات المعرفية وإفرازاتها لا أستطيع إلغاءها ولا يمكن أن ألغيها ، بل عليّ أن أكون الحلقة التي تُضاف إلى السلسلة السابقة . هذه الحلقة تتصف بالأصالة ارتباطاً وبالمعاصرة تكويناً وتناسباً ، ولربما قرأ معاصر مبتور القرآن الكريم ، فأوصلنا بفهمه إلى تحليل ما حرم الله قطعاً إذ ثبت ذلك عبر كل العصور لينهي بزعمه عهداً سابقاً من التشريع ، ويحل محله عهداً جديداً ، وكأننا أمام نص لا يحمل في طياته خطاب الإنسان ؛ ذي القضايا الثابتة والمتغيرة . أفيجوز هذا ؟! أوأننا أمام قانون صدر عن قاصر ، لم يستطع إدراك اللاحق والمتأخر ، وحاشا لكلام الله أن يكون كذلك .

المصور :

الإسلام لا يعرف الكهنوتية ، بحيث يحقق المسلم شرطه الإيماني بلا واسطة سوى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

فما رأيكم بـ«المشيخة » التي تفرض حضورها على الشرائح الاجتماعية الملتفة حولها ؟

د . عكام :

ميزة الإسلام الأولى والأهم وضوحه ، ووضوح تعاليمه ، ومصدره وأهدافه ،

نحن نقبل المشيخة على أنها منهاج تعليم وسبيل تفعيل فإذا تحولت إلى شكلية ضاغطة رفضناها

والكهنوتية تلك التي تتحدث عنها يا صديقي منافية للوضوح، مناقضة له، وإن أي تصرف يَمتُّ للغموض والضبابية بصلة في تبيان الأحكام، وتوضيح المبادىء وشرح النصوص؛ ليس من الإسلام في شيء، فقد قال الرسول ﷺ:

[تركتكم على مثل المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا زائغ].

وقد دعا الإسلام أتباعه للمناقشة والسؤال والبحث والتأكد والسبر، ولطالما حثَّ القرآن الكريم الناس على التفكر والتدبر والتأمل، وطالب الرسولَ ﷺ بمشاورة المؤمنين بقوله تعالى: ﴿ وشاورهم في الأمر﴾ آل عمران/ ١٥٩.

وإنها لصورة رائعة! تلك التي حكاها القرآن الكريم عن امرأة جاءت تجادل الرسول ﷺ في زوجها، فسجلها القرآن طرفاً في حوار معه، وجمعهما معاً في ضمير المثنَّى، وقد سُمِّيتْ السورة القرآنية بحالها وصفتِها في هذه القضية فكانت «سورة المجادلة» التي يقول الله تعالى في مطلعها: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ المجادلة/ ١.

نحن نقبل المشيخة على أنها منهاجُ تعليم، وسبيل تفعيل وتحريك، وطريقةُ توجيه. فإذا تحولت إلى شكلية ضاغطة، وخصوصية غامضة، ونودي فيها: أن يا أيها المريدون اصمتوا، ولتمت الأسئلة على شفاهكم، ولتستسلموا وإن لم تقتنعوا، ولتلغوا عقولكم حيال ما يقال، ولتعطلوا تفكيركم فيما تسمعون. عندها تُرفض هذه المشيخة، لتشابهها مع الكهنوتية التي استقلت بالفُهوم فيها طبقة محتكرة منتفعة، صفَّدت العقل، ورمت بمفاتيحه في بيداء الهيمنة الكاذبة التي تتكون ذراتها من أوهام وأساطير وخزعبلات.

الإسلام يا محدثي نصٌ ثر واضح مفتوح،

ودعوة للعقل قوية من أجل أن يتلقاه مقتنعاً مسلماً، وإيمان بأركان ليس في إدخالها ساحة التصور أي حرج.

المصور:

كيف تبررون هذا الصمت المَرَضيَّ الحزين من قبل الدول الإسلامية تجاه حمامات الدم في البوسنة والهرسك؟

د. عكام:

صمت المسلمين حيال ما يحدث في البوسنة والهرسك نتيجة طبيعية لوضع متخلف عاشوه فترة من الزمن وردحاً من العمر، ولا يزالون فيه، إلا من رحم الله والمستثنى جدٌّ قليل. وهل نتوقع ممن تناسوا فريضة الجهاد، وزرعوا فيما بينهم الأحقاد، وشغلتهم الأموال، وفرَّقت صفوفهم الأهواء؛ قبل الأعداء، وحملوا السلاح على بعضهم، وقد استوردوه من عدوهم، وضيعوا حق الله في الولاء، ونخرَهم الاستهلاك، وتعاموا عن الإنتاج، واتخذوا الأمة أمماً، وشتتوا الدولة دولاً، ونقلوا تافه المبادئ من غيرهم إليهم، وأعرضوا عن تطبيق مبادئ ربهم، هل تتوقع من هؤلاء إلا هذا الصمت المُزري المرعب؟!

وآلمني وآلمَ كلَّ حُرٍّ

سؤالُ الدهر: أين المسلمونا؟

مشكلتنا أننا صدقنا بسذاجة بسمة ذئبية من غيرنا، فكنا الحَمَل الهيِّن افتراسه، وقضينا زمناً ليس باليسير في رد ضعيف على اتهامات وجِّهت إلينا من قِبل مَّن يدبر بليل هلاكَنا، وهو يغطي فعلته الشريرة بمعسولٍ قرار، أو وهم توجيه، ينفعه ويضرنا. أغتنمها فرصة لأناشد المسلمين حكومات وشعوباً أن يهبُّوا لنجدة إخوانهم في البوسنة والهرسك، ولعله يغدو في الوقت نفسه درساً يلقّنونه من تسوِّل له نفسه نقل دائرة النار إلى مكان آخر من العالم، حيث المسلمون الذين يشكلون الخطر الباقي كما يقول مصوِّبوا السهام ضد الإنسان.

أملنا أن يستيقظ المسلمون قبل فوات الأوان، وإنا متفائلون، ولنُعرضْ عن اتفاقات منا، ومعنا، وهي ضدنا، ولنُلغِ كل قرار لا يُسَلّم فيه كامل حقنا.

أخيراً: شكراً لمجلتكم، وآمل أن نلتقي في ظلال الكلمة النظيفة، والرسالة الواعية، والدين الحنيف، وإلى اللقاء.



حوار مجلة الرواد

مجلة الرواد. دمشق.

العدد: /٣٦/. تاريخ: كانون الأول/١٩٩٤.

أجرى الحوار: ساهر يحيى



الرواد :

الحوار الساخن ما بين الايديولوجيات الاقتصادية راح يميل في السنوات الأخيرة إلى الإنسان كمحور فاعل منفعل بعد أن حاولت بعض النظريات إلغاءه، وهو الحياة وغاية الحياة الكبرى، وفي هذا اللقاء الموجز يستعرض سماحة الدكتور محمود عكام أهم مقومات الاقتصاد الإسلامي بما يتحلى به من عقيدة وأخلاق و تشريع تُوجّه الإنسان لبناء ذاته.

سماحة الدكتور عكام: لا بد لنا قبل أن ندخل في تعريف الاقتصاد الإسلامي أن نعرّف علم الاقتصاد بشكل عام وموجز ؟

د. عكام :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة و السلام على رسوله وآله، وبعد: الاقتصاد، كما أفهمه من تعريف الاقتصاديين هو:

علم بقواعد تساعد على إرواء رغبات الإنسان، وحاجاته اللامتناهية، بكمية الموارد المتناهية المحدودة.

وإذا رجعتَ إلى كل كتب الاقتصاد وجدت هذا التعريف، فإن صُبغ هذا العلم أوتلك القواعد بصبغة إيديولوجية أخذ صفتها، وتمذهب بها، و صار موسوماً وموصوفاً بها، فكان المذهب الاقتصادي كما يسمى، وقد برزت في قرننا الراهن أوفي بداياته، و نتيجة للثورة الصناعية في الغرب، والثورة البلشفية في الشرق، مذاهب اقتصادية متعددة صُنّفت في اثنين كبيرين؛ أما الأول فالمذهب الاقتصادي الاشتراكي المقيّد، والثاني المذهب الاقتصادي الحر.

فالأول: اصطبغ بصبغة المذهب

الاقتصاد مرآة تتجلى فيها العقيدة والأخلاق والتشريع، ولهذا كان لا بدّ من الحديث عن اقتصاد إسلامي

الإيديولوجي فكان مرآتَه.

والثاني: كان وليد انفصال الدين عن الدولة، إذ لم يعد الدين بمسيطر على شيء يتعلق بظاهر الإنسان تنظيماً وأحكاماً، وإنما اقتصر الدين على داخله، فصار ظاهر الإنسان - على حد الزعم - منقطعاً عن الدين، وإن كان متأثراً به، منفذاً له، لأن الدين نفسَه يقول له، كما تصورَ معتنقُه:

أنت حر في اتخاذ الأحكام التي تريد لتنظيم حياتك، دعه يمشي، دعه يمر.

الرواد:

ما هي أهم ملامح الاقتصاد الإسلامي في القرآن الكريم والسنة الشريفة ؟

د. عكام:

الاقتصاد مرآة تتجلى فيها العقيدة والأخلاق و التشريع، ومن أجل هذا كان لابدّ من الحديث عن اقتصاد إسلامي، أعني اقتصاداً نلمح من خلاله العقيدة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية، والتشريع الإسلامي أوالفقه.

ولقد مرت فترة سابقة ليست بقصيرة، ظن فيها كثير من الناس أن الإسلام لا يمتلك مقومات اقتصاد خاص به، أوأن الإسلام يستعير من هنا وهناك تشريعات اقتصادية ليتمم نفسه، أوليُقنع بها أتباعه ورواده، ولكن الحقيقة أن آيات الأحكام في القرآن الكريم، كان أكثرها منصباً على المعاملات التي تعني في النهاية الحركة الاقتصادية، من دون أن تلفت النظر ابتداءً إلى «المذهب الاقتصادي» أو«علم الاقتصاد».

الرواد:

و هل هناك شواهد على هذا، أرجو من سماحتكم التفضل بإيراد بعضها كمثال ؟

د. عكام:

نعم هناك آيات كريمة تناولت البيع، وأخرى تحدثت عن الرهن، وثالثة تخصصت في الكسب، ورابعة نظمت شؤون الدَين، وخامسة بيَّنت استغلال الموارد، وسادسة حثَّت على السعي والعمل، وسابعة نادت بضرورة رعاية المال وتثميره فيما يعود على المجتمع بالخير، وهل هذا إلا اقتصاد ؟

و هل ذاك في النهاية إلا وصف لرقعة المجال الاقتصادي عند الإنسان بأبهى حلل التشريع، وأجمل منمنمات الأحكام ؟ ذلك أن هذا التشريع وتلك الأحكام جاءت من الله العليم بالإنسان المحيط به المسوّي لتركيبه، لاسيما إذا ألحقنا بتلك الآيات الكريمة الأحاديث الشريفة التي شرحت وبيَّنت وفصّلت ما جاءت به الآيات.

على الباحث أن يرجع إلى أي كتاب في الحديث الصحيح؛ ليجد مئات بل ألوفاً من الأحاديث التي نظمت المجال المالي، والساحة الاقتصادية عند الإنسان بمنطلقات عقدية، وغايات عبودية، وأهداف تلامس الإنسان في داخله، إذ يسعى إلى إرضاء الله في النهاية، وأجملُ الاقتصاد ما قام على اعتقاد، وأدى في نهايته إلى خدمة الإنسان، وإرضاء الديّان، ولم يغيِّب الضمير ولا الوجدان.

الرواد:

لكل مذهب اقتصادي مقومات، فما هي أهم مقومات الاقتصاد الإسلامي ؟

د. عكام:

مقومات الاقتصاد الإسلامي هي :

أولاً- **نظرة الإسلام إلى المال**: المال في الإسلام مال الله. قال تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ النور/٣٣، وما ذاك الذي يحوزه إلا موظف عليه، وصاحب حق في إدارته، يستثمره وفق قواعده، أعني الإسلام، ويصرفه على ضوء أحكامه، فلا إسراف، ولاتبذير، ولا تضييع، ولا كنز، ولا اكتناز، ولاتخزين، إنما قصدٌ ووسطية في الصرف، وتثمير وتشغيل وعمل في الاستمرار، وتوزيع حقوق وجبت فيه على مستحقيها، واستشعارٌ للمسؤولية الملقاة على عاتقه، تجعله في حالة طوارئ قاسية، وهو يقوم بمهمة الاقتصاد وتطبيقه: ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم

الإسلام أقر تعلق الإنسان بالمال، ولكنه لم يقره في تصرف لا إنساني حياله، فإنسانية التعلق تستلزم ربانية التنظيم

و لا تحاضّون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلاً لـمّـاً وتحبون المال حباً جماً ﴾ الفجر/ ١٧ .

فالإسلام أقر تعلق الإنسان بالمال، ولكنه لم يقره في تصرف لا إنساني حياله، فإنسانيةُ التعلُّق تستلزمُ ربانيَّةَ التنظيم .

ثانياً- العمل فرض في الإسلام لتثمير المال :

فمن كنزَ، أو اكتنز، أوكسل، أوتقاعس، أوأعرض، فقد أعلن أحقيَّة غيره بهذا المال، وبالتالي لم يعد هو بذاك الذي يرعاه، وعندها تقف الدولة منذرة، فإن استجاب واشتغل فنعمّا ما فعل، وإلا تصرفت الدولة عليه، ومارست حقها في مال الله، فثمّرته و شغّلته، وأعطت هذا « الكسول» درساً يفيد منه لينشط، فقد قال ﷺ عمن أحيا أرضاً مواتاً ولم يثمّرها : [ليس لمحتجر حق بعد ثلاث] .

على أن العمل الاقتصادي له ضوابطه وقواعده، وهي منشورة في كتب الفقه، وأهم هذه القواعد :

١- أنّ الربا حرام لا يجوز الاقتراب منه، وللإسلام فيه دراسة مستفيضة يمكن أن نجعلها موضوع لقاء آخر .

٢- وأن الاستغلال والاحتكار والغش والرشوة مرفوضة غير مقبولة .

وهذا ما يسمى بقواعد التَّرْك، لتأتي بعدها ضوابط الفعل :

٣- فالتجارة أمر مرغوب فيه .

٤- والزراعة قضية نُدعى إلى ممارستها .

٥- والصناعة مدعاة تفوق في المجتمع نتنادى إليها .

وكل ذلك مضمّخ بأخلاق الإسلام وغاياته وأهدافه، وأهم تلك الأخلاق :

تعاونٌ خيّر .

وصدق واستقامة .

وصراحة ووفاء : ﴿ يا أيها الذين آمنوا

العمل الصالح هو ما كان في خدمة الإنسان

أوفوا بالعقود﴾ المائدة/ ١، ﴿ و تعاونوا على البر والتقوى ﴾ المائدة/ ٢، ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّه حياة طيبة ﴾ النمل/ ٩٧، صدق الله العظيم.

و العمل الصالح هو ما كان في خدمة الإنسان، مستنداً إلى قواعد القرآن، ويُسعى فيه لإرضاء الرقيب الديَّان، ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ الأنبياء/ ١٠٥، وما الجنة التي وُعد بها المؤمنون المتقون إلا تحريض على العمل والسعي، فمن أراد جنة خضراء خيّرة فيها كل شيء، فليسعَ إلى أن يكون جزاؤه من جنس عمله، ويعمل على أن تكون أرض الدنيا بالجنة شبيهة، فمن أسعد الناس بخدمته النافعة، أسعده الله بجنته الواسعة، وما أجمل كلمة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يوم نادى وصرخ في وجه هذا الذي جلس في المسجد يدعو بالرزق ليقول له: (اخرج فاعمل، ولا يقعد أحدكم في المسجد يرفع يديه و يقول: اللهم ارزقني، وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة).

ثالثاً - الاقتصاد توفيق دقيق، وقصْدٌ منسّق بين رغبات الإنسان اللامتناهية، وموارده المتناهية:

وقد كان الإسلام في توفيقه بينهما دقيقاً رائعاً، فاسمع كي أعرض عليك:

أما الرغبات: فلا كبت عليها، ولكنها موجَهةٌ في إطار الحلال تشريعاً ومرسلة لتتناول الآخرة إيماناً: اسعَ أيها الإنسان لإرواء رغباتك، ولكن هيهات أن تظن أن الدنيا يمكن أن تكفيك، فأنت أكبر منها لأنها فانية، وأنت من ستبقى بعدها لتكون إنسان النعيم الخالد، في جنة الخلد، فهل تفضل الفانية على الباقية؟ ﴿وللآخرة خيرٌ لك من الأولى، ولسوف يُعطيك ربُّك فترضى﴾ الضحى/ ٥.

وُجِّهت الرغبات إلى هناك، وحُدد ما بقي منها هنا بضوابط الشرع، وحُثَّ على العمل تجارة وصناعة وزراعة، وعُدّ أفضل

العبادة، فزادت الموارد على الرغبات، ونودي الإنسان: أن أنفق ما زاد. وإنفاقك دليل اقتصادك، وعطاؤك برهان فهمك لمذهبك الاقتصادي، وقد قال ﷺ:

[من كان عنده فضل ظهر، فليَعُد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل مال، فليعد به على من لا مال له].

وهكذا . . . حتى قال بعض الصحابة: حتى ظننا أنه لا حقّ لأحدنا في فضل. رواه مسلم والترمذي.

ولقد جرّب التاريخ هذا، فاكتفى الناس، وعاشوا يرقبون ويرتقبون الجنة وكأنهم يعيشونها.

وإلا قل لي بربك: أي وسيلة يمكن أن تتكسر عليها أمواج الرغبات البشرية إلا هذا . . ؟

وقل لي بربك: كيف يُرعى الإنسان ليكون عنصر خير إلا بهذا؟

وهل هناك حلول في أمكنة أخرى يمكن أن تكون البديل؟ فما هي؟ وأين هي؟

الرواد:

نأمل أن نجري لقاءات لمناقشة هذه الحلول مقارنة مع الحل الإسلامي.

د. عكام:

على رحب وسعة في مجلة الرواد الرائدة.

الرواد:

وما هي كلمتكم الأخيرة . . .؟

د. عكام:

إن كان لي كلمة أخيرة أبثها في صدرك بعد لقائك الماتع هذا أقول:

الاقتصاد إن لم يقم على اعتقاد لن يكون إلا بنياناً لا يطول عمره، وإن ظُنَّ فيه البقاء.

والاقتصاد إن لم يُغلَّف بالأخلاق، فهو حركة ملعونة تُلمَح فيها الفائدة، ويبقى فيه الضرر أشد.

وإنها لكلمة جيدة قالها غاندي: «من لم يلبس ما يصنع، ويأكل ما يزرع، ويعمل ما ينفع فهو طفيلي».

وأضيفُ عليها: ومن ظن أنه لن يرجع ليُسأل عما عمل وأوقع، فهو خائب في الحياة، عبثيٌّ الوجهة والتطلُّع.

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ المؤمنون/ ١١٥ صدق الله العظيم.

حوار مجلة العالم ١

مجلة العالم. لندن.

العدد: /٥٢٥/. تاريخ: كانون الأول/١٩٩٤.

أجرى الحوار: وحيد تاجا



العالم :

الدكتور محمود عكام مختص بدراسة الفكر السياسي الإسلامي، وأستاذ جامعي في سورية، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا عن رسالته :

«الحاكمية والسلطة في الفكر الإسلامي السياسي في القرن الخامس الهجري، دراسة مقارنة بين السنَّة والشيعة».

مندوب «العالم» في دمشق التقى الدكتور محمود عكام، وحاوره حول أهم القضايا المطروحة في الساحة الإسلامية.

العالم :

تحدَّث الكثير عن تخلف المسلمين، ولكنهم لم يتحدّثوا عن الطريق إلى الإسلام، فكيف ترون ذلك ؟

د . عكام :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله وآله، وبعد :

هناك كلام كثير حول قضية العودة إلى الإسلام وطريقها، وما أحبُّ أن أقوله هنا لايعدو أن يكون متناً لشروح تُضاف، إنْ من قِبَلي، أومن قِبَل آخرين مهتمين بقضايا الفكر الإسلامي بشكل عامّ.

وأول ملامح «العودة» :

١ ـ أن نثق أولاً بإمكانية وقدرة الإسلام على تغطية الحياة، وأن الإسلام قادر على تلبية كل حاجات المجتمع الإنساني .

٢ ـ لا بد من تحديد الثوابت والمتغيرات لشبابنا، أوما يسميه الأصوليون «القطعيات والظنيّات»، معتقدين أن ثوابت الإسلام هي

نحن بحاجة إلى برمجة مأخوذة من النص، تتناسب ومسلم اليوم، أي إلى تنزيل جديد للنص

ثوابت الإنسان، وأن متغيراته هي متغيرات الإنسان.

٣ـ نحن بحاجة إلى برمجة مأخوذة من النص، تتناسب ومسلم اليوم:

أي إلى تنزيل جديد للنص، نستفيد من السابقين أسلوبيَّتَهم، وتعاملَهم وأدواتهم، ولكن لانأخذ مفرزاتهم، فلكل عصر مفرزاته من النص وحقُّه منه، وروعة النص وعظمته تتجلى في هذا الثراء والغنى.

٤ـ العمل على إيجاد النموذج العملي المقنع في مختلف النواحي:

لأن الفكر الصحيح بمقوماته يقنع، ورؤيته من نماذج عملية يُطمئن.

العالم:

كلامكم هذا يجرنا للحديث عن الحيرة الفكرية التي يعاني منها الشباب المسلم اليوم، فكيف نخرج من هذه الحيرة؟

د. عكام:

إذا أردنا الخروج من الحيرة علينا أن نعرف كيف دخلناها.

وأنا لا أقول إنني مع هذا التيار أوذاك؛ فلسنا من أولئك الذين يتحدثون عن كل مفرزات النص وفهومه السابقة، على أنها تراث لنحافظ عليه برمته.

ولسنا من أولئك الرافضين لكل ما نتج عن النص سابقاً، على أنه قديم ينبغي التخلي عنه.

وإنني أدعو إلى المصالحة بينهما، والتكامل في طرحهما، وذلك:

١ـ بالتزام النص مصدراً لفكرنا، وتحديد معالم هذا النص وتبيانه.

٢ـ ثم العمل على تنزيله، وفق العصر الذي نعيشه بأدوات سابقة، وأخرى لاحقة مستجدَّة.

فما يُسمَّى اليوم بالأركيولوجي، والأنتربولوجي، والألسنية، وسواها، ينبغي

الاستفادة منها، واستيعاب العصر من خلالها، فهي دراسات إنسانية، ونحن مع الإنسان وما يلامسه.

وإن جاز لي التعبير بكلمة واحدة قلت: نحن بحاجة إلى «وعي»، والوعي هو عمل صادق مؤثّر صادر عن علم موثوق، يستند هذا العلم إلى إيمان أكيد راسخ.

العالم:

هل يُفهم من كلامكم الموافقة على ما يسمى «أسلمة العلوم»؟

د. عكام:

لا أريد أن أقول كلمة «أسلمة»، إذ في اعتقادي أن العلوم في إطلاقها حيادية في أصلها، والإنسان هو الذي يقوم بتوجيهها وتوظيفها وبرمجتها.

العلوم حيادية لأن العلم هو اكتشاف الواقع على ما هو عليه، فلا داعي لأن «نؤسلم» الجغرافيا، أو أن «نؤسلم» التاريخ أو الفيزياء... لأنني أعتقد أن العلوم بحياديتها مسلمة، كما أن الإنسان بفطرته مسلم، ولو تتبعناها، وتتبعنا نتائجها، لوصلنا إلى قضية حتمية، كتلك التي تُوصلنا إليها فطرتنا بتلقائيتها، وستتفق المقولتان:

مقولة الأعرابي في الصحراء، ومقولة العالم في المختبر، فالفطرة تقول: «آمنت بالله الحق»، وكذلك يقول العلم، فهل من مدّكر؟

العالم:

هناك دعوة تقول إن العلم دائماً خاضع لتصورات حامله، ولا يخلو أي علم من ذلك، حتى إن القرآن الكريم استُخدم استخدامات عديدة، وكل الفرق الإسلامية من خوارج ومعتزلة استندوا إلى القرآن الكريم، ما هو رأيكم؟

د. عكام:

النص القرآني محكوم بأمرين في رأيي:

١ـ بفهم النبي ﷺ وتفسيره وتبيانه: إن ثبت سنداً وتوثيقاً.

٢ـ وبآلية اللغة، وأسباب النزول، والسياق، والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية، إن لم يكن هناك تبيان نبوي.

وإن كنت على ثقة بأن التبيان النبوي هو الذي أمدنا بما ذكرنا، من لغة وأسباب نزول،

لابد للداعية من معرفة الخطاب الذي ينطلق منه، والمخاطَب الذي ينطلق إليه، والجرأة

في مواجهة النص لفهمه.

وبالتالي؛ فالباب مفتوح لكل من امتلك الأداة والوسيلة، والنتيجة: ﴿ فأمَّا الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ الرعد/١٧، والقرآن الكريم أوسع من أن يُحدَّ بفهم أورأي، والإسلام أكبر من أن يَرسم معالمَه عالمٌ أومفكر.

وموقفنا حيال المفسرين، على اختلاف مذاهبهم، موقف من يطالب بوحدة قياس متحدة، وإن اختلفت أسماؤها، والمهم فيها حدُّها وقدها.

وأنا أفهم أن اختلاف الصحابة رضي الله عنهم كان في الأسماء دون الحدود، وكلٌّ كان في فهمه جزءاً من الإسلام ليشكل الإسلامُ في النهاية كلَّهم.

فهل تغيَّر الإسلام فلم يعد قادراً على استيعابنا سنياً وشيعياً ومعتزلياً وسواه، أم تغيرنا نحن؛ لنضع فهومنا موضع الحاكم على الدين والإسلام؟

وكلٌّ يدعي وصلاً بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا

ولنقفْ ونحن نرفض تفسيراً خاطئاً موقفاً واحداً، ولو تعددت مصادر هذا التفسير مذهبياً، فالحق أحق أن يُتبع؛ ظهر في جماعتي أوفي جماعة أخرى، ما دام الجميع ينهلون من معين واحد، وإن اختلفت أسماء أوانيهم، فالماء العذب لايُرفض لعدم الاتفاق على إناء واحد بشكل متحد.

العالم:

يرى بعضهم أن مشكلة المسلمين في دعاتهم.

ما رأيكم بهذا؟ وماذا تقترحون من طرق ووسائل لإعداد دعاة قادرين على القيام بالعملية التغييرية من خلال الظروف المحيطة، والإمكانات المتاحة؟

المهم في الأمر ألا يتحول الدعاة من دعاة إلى الإسلام إلى دعاة إلى مذهب أوحزب

د. عكام:

لا بد للداعية من معرفة الخطاب الذي ينطلق منه، والمخاطَب الذي ينطلق إليه، ولابد له من جرأة وشجاعة وقوة تغدو الدافع له ليطرح ما يؤمن به دون تأثر بالمغريات الترهيبية والترغيبية.

وحين نُفصِّل في ذلك نقول:

الداعية إنسانٌ فكَّر، فاعتقد، فالتزم، فاطمأن، وقوي فدعا إلى الله على بصيرة.

وهذا يعني أنه:

أُعِدَّ على مستوى التاريخ فوعى سننه.

ومستوى الاجتماع فوعى أبعاده، وتعرف على متغيراته وثوابته.

ومستوى النص الذي هو القرآن الكريم وصحيح الحديث الشريف، فألمّ بعلومه، وتاريخه، وأدوات فهمه، وحصيلة ما فُهم منه عبر الأيام والسنين.

أخيراً، فالداعية المنشود:

مؤمن، مسلم، واع، ملتزم، محبٌّ، متحرك، شامل، واسع، يغلّف كلَّ ذلك إنسانيةٌ صادقة ظاهرة، وما لم تكن نسبة الإنسانية فيه أكثر من غيره فلا يصلح للدعوة.

العالم:

الدعوة إلى الله أصيبت بارتكاسات كثيرة، هل يمكن تحديد بعض السلبيات من خلال الواقع، ليكون ذلك عوناً للداعين والعاملين في سلك الدعوة الإسلامية؟

د. عكام:

فشلُ الدعاة نتيجةٌ لسوء الإعداد، ونجاحهم مرتبط بحسن الإعداد الذي تحدثنا عنه في السؤال السابق.

والمهم في الأمر ألا يتحول الدعاة من دعاة إلى الإسلام إلى دعاة إلى مذهب، أوحزب، فذاك الذي يضرنا ويضيرنا.

وإذا كان رسول الله ﷺ الداعية النموذج والقدوة والأسوة؛ فلنلتمس حياته ونجاحه

ومنهاجه، ولنسر على دربه.

لقد أُخفقنا لأننا صنعنا «إسلاميات» متعددة. ودعونا باسم شخصيات محددة. وأوقفنا ومنعنا الفهوم المتجددة. ولم نقتحم الحياة، ووهمنا وأوهمنا غيرنا أن التقوى تعني اللهجة المتشدِّدة. وألزمنا دعاتنا ومَن معنا بشكلية قضت على كل المضامين الفاعلة الخيِّرة المتمرِّدة. وأمَتْنَا التفكيرَ لنُحييَ محلَّه تبريراً، فصارت جرأتُنا وشجاعتنا وحياتنا حالةً متردية ومترددة.

العالم:

كيف تنظرون إلى ما يسمى بالصحوة الإسلامية؟ وهل توافقون أصلاً على هذا المصطلح؟

د. عكام:

أوافق على مصطلح «الصحوة الإسلامية» ما دمنا أهلَها وأبطالها وفاعليها والقائمين بها.

وأرفضها كلمة مخدِّرة ينشرها غيرنا في جونا، ليمارس علينا من خلالها ضغطاً، أو ليصادر تطلعاتنا وآمالنا، ويوقفنا عندها سقفاً لا نتجاوزه بحالته الراهنة، على أنها المأمول المنتظر.

لذا فإني إذ أعرف من أطلق هذا المصطلح، أستطيع أن أحدد الموقف أكثر.

العالم:

ألا ترون أن العامل الاقتصادي لعب دوراً أساسياً في انبعاث الصحوة الإسلامية من جديد؟

د. عكام:

للعامل الاقتصادي دورُه، ولكن ليس له كل الدور، وإلا فلماذا ينتشر الإسلام بحركاته في بيئات مستقرة اقتصادياً، ويغزو بآثاره عائلات غير منزعجة اقتصادياً أو مادياً؟

قد نشعر بالعامل الاقتصادي يحرك؛ لأنه العامل المباشر الذي يلامس الجسد، والناس يتساوون بالإحساس الجسدي جوعاً وعطشاً، وألماً وقسوة، وعلى هذا فالاقتصاد محرك مباشر، ولكنه ليس الأساس.

إن ما يدفع الناس لتقبُّل الحركات الإسلامية؛ هو أنهم يشعرون أن الإسلام يغطي كل ساحاتهم، وأن غيثَه يغمر كلَّ أرضهم؛ مادة ومعنى، نفساً وروحاً.

وخلال إقامتي في فرنسا كنت أرى أحوالاً كهذه.

العالم:

كيف تنظرون إلى مسألة الوحدة الإسلامية؟

د. عكام:

الوحدة الإسلامية أمل... وأن يكون على المسلمين جميعاً قيادة واحدة أمل...

ولكن لا بد لهذه الوحدة من تصور وخطة واضحين، وأهم مقوماتها:

أن نلتقي ونسعى للقاء، دون ألقاب وتسميات، فالإسلام يكفينا اسماً وموضوعاً ومنهاجاً.

ولنترك لغيرنا صناعة الفرق والطوائف، فليس حديث النبي ﷺ: [وستفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقة]، إن صح، تكليفاً، وإنما هو تنبيه فلنحذر.

ولنكثر من اللقاءات الموسعة، والاجتماعات التي تضم الفئات المختلفة، ولنبحث فيها عن القواسم المشتركة، وإنها موجودة، لنتبناها عاملَ وحدة بيننا، وما أظن قواسمنا تعجز عن أن تمدنا باللقاء، وهناك قواسم أقل وأضعف جمعت غيرنا في أوربا وأميركا والهند والصين.

العالم:

ما رأيكم بمسألة الديمقراطية في الإسلام، وهل يسمح الإسلام بوجود المعارضة؟

د. عكام:

المعارضة والمعارضون قضية لا تحتمل نقاشاً وحواراً في الوجود، ولكن الأمر والحوار والنقاش يتعلّق بالتنظيم، إذ لكل دولة أوحزب قانونُه في تنظيم المعارضة الخاصة به والتابعة له،

والمهم في النهاية أن ينتفي الإرهاب، والقهر، والقسر، وأن يحلّ محلَّ ذلك الحوارُ الجاد، والدعوة الواعية، والتسامح الإنساني الراقي.

وأظن أن التاريخ يشهد لنا في ذلك، وترتفع في صفحاته رايات «الديمقراطية» أوضح مما يمكن أن تظهر في صفحات غيرنا، لأن الإسلام بثوابته، يقوم على تكريم الإنسان وتقديره واحترامه:

﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ الإسراء/ ٧٠ .

﴿وقولوا للناس حسناً﴾ البقرة/ ٨٣ .

﴿قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس﴾ الناس/ ١-٣ .

وهل الديمقراطية في النهاية إلا هذا في أرقى مستوياتها ؟

والتجربة ، كما يقال، أكبر برهان .

حوار جريدة السياسة

جريدة السياسة. الكويت.

تاريخ: ١٤١٧/٢/٩هـ - ١٩٩٦/٦/٢٥م

أجرى الحوار: خالد الأحمد



السياسة :

هل لنا بدايةً أن نتعرف على المراحل المبكرة واللاحقة من التكوين الفكري والمعرفي لديكم ؟

د . عكام :

لقد درست في الثانوية الشرعية في حلب ، بدءاً من الصف الأول الإعدادي وانتهاءً بالصف الثالث الثانوي ، وكانت مناهجها تضم معالم جيدة ، وملامح أفقية شاملة للعلوم الإسلامية المختلفة ، من فقه وحديث وتفسير ولغة عربية وسواها ، رافق ذلك قراءاتٌ مختلفة خصوصاً ، ودروس كنت أحضرها على عدد من الأساتذة الأفاضل ، والتحقتُ بكلية الشريعة بدمشق ، فأفدتُ كثيراً منها ، لأنني داومت بشكل منتظم وجادٍّ ، وكنت حينها منكبّاً على تحصيل علوم الآلة ، من نحو وصرف ومنطق ، اعتقاداً مني أنها تشكِّل أساساً مهمّاً للتكوين المعرفي العلمي ، وتُقوِّي المحاكمةَ الصالحة لإنشاء الأحكام الصحيحة لدى الإنسان .

السياسة :

اختيارك السوربون للدراسات الإسلامية من أي منطلق جاء ، وما الذي أضافه هذا الاختيار إلى تجربتكم المعرفية والعلمية ؟

د . عكام :

كانت جامعة السوربون ، التي قضيتُ في رحابها سنوات أربعٍ ، نافذةً أطللت من منها على منهج التفكير لدى عالم متطور في تقنيته ، يحاول المناظرة بينها وبين الفكر الإنساني ، ليظهر متفوقاً فيهما معاً ، وأكثر ما

شدَّ انتباهي هناك الاهتمام الكبير بـ: «الأنثروبولوجيا»، أوعلم الإناسة كما يترجمها بعضهم، وقد جهدت في التعرف على مقومات هذا المنهج، وانطلقت منه في كتابة رسالتي لنيل الدكتوراه: «الحاكمية والسلطة في الفكر الإسلامي السياسي».

وإني على ثقة أن الدارسين الأوائل في تاريخنا الإسلامي كانوا روّاداً، من أئمة الصحابة، ومروراً بأئمة الحديث وأئمة الفقه، إلى أواخر القرن الخامس الهجري، فقد وقفوا أمام الإنسان كما علمهم القرآن الكريم، وخاطبوه معرًّى عن كل صفة، لينطلقوا من خلال نظراته الأساسية، إلى نفسه وإلى ماحوله، لتكوين أساسيات تفكيره، ولابد من تسجيل كلمة شكر للأستاذ الدكتور «محمد أركون»، الذي ساهم في إغناء تطلعاتي لهذا المنهج.

السياسة:

يواجه الإسلام تحديات شرسةً لتشويه صورته النقية، والإساءة إليه بشتى السبل، وحجب صوره دون الوصول إلى عوالم الشرق والغرب، وفي حمأة هذه الهجمة المسعورة يروِّج البعض مقولة أن الإسلام يُلزم أتباعه بنسق فكري وسلوكي «مناقض تماماً لكل عناصر الميراث المشترك لسائر الأمم والشعوب» وهو نسق في زعمهم يناقض العلم ويحارب العقل ويروج للغيبية الفكرية والسلوكية.

فما هي الحجج اليقينية التي يمكن سوقها للرَّد على هؤلاء الغلاة الموتورين وأمثالهم؟

د. عكام:

الإسلام دين الإنسان أنَّى كان هذا الإنسان، يُحدِّد له المنطلق، ويرسم له الطريق والمنهج، ويبين له الغاية، ويلفه بما يناسب إنسانيته ويرقِّيها.

أما المنطلق فهو إرادة الخير للناس كلهم، تجلى ذلك من خلال الإيمان بالله المطلق الخالق العليم الرحيم، عبر رسله ورسالاته للناس كافة، وإقامة الحجة عليهم من أنفسهم.

وأما الطريق والمنهج فإسلامٌ كامل تام للجسم والروح والعقل فرداً وجماعةً، يغني التصور بالعقيدة السديدة، الواصلة إلينا بخبر يقيني عن الله عز وجل شأنه، أوعن مبلغه الصدوق محمد ﷺ، ويُغني المواقف بتشريعاته المجيدة، فما من علاقة يُصدرها

الإسلام دين الإنسان أنّى كان هذا الإنسان، يُحدد له المنطلق، ويرسم له الطريق والمنهج، ويبين له الغاية، ويلفه بما يناسب إنسانيته ويرقيها

الإنسان إلى جهة من الجهات، إلا والإسلام يغطِّيها التغطية المناسبة لإنسانية الإنسان، فإن كانت مع الناس فبالتشريعات والأخلاق التي تأخذ اسمها من طبيعة هذه العلاقات، فهناك أحكام وتشريعات تنصب على قضايا المال تسمى بالمعاملات، وأخرى تغلف قضايا الأسرة تسمى بالأحوال الشخصية، ورابعة تهتم بالجريمة يُطلق عليها اسم الحدود. وما يرتبط بالسياسة والدولة يسمى: «السياسة الشرعية» وغيرها.

وميزة العبادة في الإسلام أنها تحفز كل دواخل الإنسان من أجل أن يتهيأ لفعل الخير، وحينما نتحدث عن الأخلاق في الإسلام فما من فضيلة إلا ودعا إليها الإسلام وحثّ عليها، وما من رذيلة إلا ونهى عنها وحذر منها.

وأما غاية الإنسان في الإسلام فإنه يرتقي به ليجعل منه خليفةً عبداً صالحاً أميناً.

فالخليفة يعني: أنه خُلق على الكوكب الأرضي ليقوده تكليفاً في مسار الخير، ومن خلاله يؤدي ويحقق الأمانة التي نادت بحملها السموات والجبال.

والعبد يعني: الارتباط الأقوى بالإله المطلق عبر طريقي الخضوع والحب.

والصالح: ذاك الذي يمتلك المؤهلات اللازمة من معرفة كونية وتاريخية تستندان إلى معرفة نصيّة فما أروع إنسان الإسلام بمنطلقه وطريقه وغايته.

وأين هو من افتراء يُفترى عليه مفاده أنه ذو نسق خاص ضيق لايصلح به لتشكيل إنسان كوني عام. ألا ساء مايحكمون ؟

السياسة :

ماواجب العلماء والمفكرين الإسلاميين تجاه الأزمات والنكبات التي حلت بالعالم الإسلامي وفككت كيانه ؟

د . عكام :

واجب العلماء في كل آن ومكان هو ذاته لا تبديل فيه ولاتغيير، وملخصه التبيان، والجهر بالحق، وتقديم المسار الأقوم للمجتمع بلغة المجتمعات كافةً، ببيان مأخوذ من التنزيل الإلهي والشرح النبوي له، ذلك أن الله تعالى قال: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ الإسراء/ ٩ .

وقال رسول الله ﷺ : [بُعثت بالحنفية السمحة] . كما ورد في مسند الإمام أحمد .

ويتصف البيان بالوضوح والاستيعاب ومواكبة الزمان والمتغيرات والشمول والتمام حتى لاينفصم الإنسان موضوع البيان ومحل تطبيقه، وأعتقد أن علماءنا سابقاً ساهموا مساهمةً فعالة حين دونوا آلاف الكتب التي تتخذ من الإنسان موضوعاً في كل متعلقاته ومجالاته، وما المدارس الفقهية والعقيدية قديماً وحديثاً إلا دليلٌ على ذلك .

السياسة :

برز في السنوات الأخيرة مفهوم «العلمانية» وهو مذهب يدعو إلى عزل الدين عن الدنيا وفك الارتباط بين الأديان والسياسة والاقتصاد والسلوك أي بمعنى عزل الديانات عن الحياة السياسية .

فماهو موقف الإسلام من هذه الدعاوي ؟

د . عكام :

إذا كانت «العلمانية» مشتقة من العلم فنحن علمانيون، وإذا كانت تعني الصراع بين العلم والدين فنحن مجانبون، إذ الإسلام دينٌ يدعو إلى العلم، بل إن التزامه جاء نتيجة التعلم والمثاقفة والتعليم . كيف يُعزل الإسلام عن الحياة وهو دينها وراسم ملامحها ؟ ! ولئن كانت هنالك صراعات بين دين سواه وبين العلم في فترة ما فإن هذا لم يكن ليحدث بين الإسلام والعلم وبين الإسلام والحياة الواعية المتطورة .

وهب أننا عزلنا فماهي حدود الحياة ؟ وماهي حدود الإسلام ؟ ومانفعل بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تتعلق بالحياة اقتصاداً وسياسةً واجتماعاً وأسرةً وما أكثرها؟ ! والمهم في النهاية أن نقرر أن الإسلام دين ودنيا وسع الحياة الدنيا والآخرة، أغنى التصور بالعقيدة، وغطى المواقف بأنسب الأحكام مع الإنسان، فكان بذلك اللبوس

إذا كانت «العلمانية» مشتقة من العلم فنحن علمانيون، وإذا كانت تعني الصراع بين العلم والدين فنحن مجانبون

الصالح للإنسان في كل زمان وأينما حلَّ في المكان.

السياسة:

في وقتنا الراهن نجد صداماً بين «الديني» و«السياسي» فيما يخص شؤون الحكم والدولة، إذ إنّ «السياسي» غالباً ما يتهم «الديني» بعدم امتلاكه مقومات الدولة نظرية وواقعاً، فما مدى صحة هذا الكلام؟

د. عكام:

الصدام بين «الديني» و«السياسي» مفتعل من قبل الثاني، ذلك أنه وضع في تصوره قبلاً، أنّ الدين لا يمتلك مؤهلات الحكم، فما بال المتدين يُطالب به وهو غير قادر عليه؟

ولو أنّ السياسي اطلع على ما لدى الديني، وأعني هنا المسلم، لوجد خلاف ما تصور وظن ووهم.

و المشكلة في هذه القضية، مشكلة استيرادٍ كامل لمفاهيم الغرب وتصوراته وتاريخه، وإلا فما هي أسس الدولة الحديثة التي لا نراها في الإسلام؟! وهل تجانب ما اعتمده الإسلام في هذا الميدان من شورى وعدالة ورعاية الحقوق العامة والخاصة؟

و ما كُتب في الفكر الإسلامي، حول مقومات الدولة الإسلامية، لا يغاير تلك التي تقوم عليها الدولة الحديثة، بل يزيد عليها عنصر الإيمان بالله، الذي يمنحها المؤيد الداخلي، وقوة المراقبة من المرؤوس على رئيسه، ومن الرئيس على مرؤوسه.

وما في الدولة الحديثة من حسنات، لا يعدو أن يكون ظلالاً لمقومات دولة الإسلام، ودونكم الخلافة الراشدة، فادرسوها بعناصرها ومقوماتها.

السياسة:

شغلت قضية الشباب في كل زمان ومكان أذهان المفكرين وعلماء النفس والاجتماع

والفلاسفة فكيف تجلى المنهج الإسلامي في علاج مشكلات الشباب برأيك؟

د. عكام:

أما الشباب فالإسلام دينهم، وماكان أصحاب النبي ﷺ إلا شباباً. استخرجَ طاقاتهم ووجهها في مسار التكوين السليم الخاضع للعقل الفاهم الواعي، فلا طيش ولافوضى ولاعدوان ولا إفساد.

وما الشباب إلا مجموعة صفات هي الشجاعة والنشاط والعاطفة القوية والمسؤولية الوقادة. أما الشجاعة فالإسلام يطلبها للذود عن الحياض عقيدة وعرضاً وأرضاً، وللجهاد حيث الدعوة والقتال لنشر دين الله الحق، وإبعاد المستكبرين الذين يعيقون المسير بقوتهم وعدتهم الباغية الطاغية، والذين يسعون لاستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فيما يخص الإنسان منطلقاً وطريقاً وغايةً وهدفاً.

والنشاط والإعداد: ما أكثر الآيات والأحاديث الداعية إليه، وما أظن كتاباً حوى «العمل» و«الجهاد» و«الدعوة» وهذه من مفرزات النشاط وكذلك «التفكير» وهو أعلى درجات النشاط، الذهني كالقرآن الكريم. بل إنه نادى أتباعه بالحركة السريعة ليستفرغ طاقة أهل الطاقة: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ آل عمران/ ١٣٣، ﴿وسابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ الحديد/ ٢١، ﴿وعجلت إليك ربي لترضى﴾ طه/ ٨٤.

وأما العاطفة التي تشكل حجر الأساس في عالم الشباب فقد غذاها الإسلام عبر الإيمان بالله المطلق الكبير الرحيم، وزرع في أرضها الحب الكبير الذي يستنفذها جيدةً جادَّةً فيقول النبي ﷺ - على سبيل المثال -: [أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني لحب الله إياي، وأحبوا آل بيتي لحبي] رواه الترمذي.

أخيراً: الشباب مسؤولية، وقد نماها الإسلام في تربة الشباب، وأنبتها نباتاً حسناً فما من عمل تقوم به ابتداءً من سن دخولك عالم الشباب إلا والمسؤولية تطوق رقبتك وحدك دون سواك، ولتعلم أن أمامك موعداً ستلقى الله فيه ليسألك عن ساعاتك ودقائقك وثوانيك [لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع] ومن جملتها عن عمره فيما أفناه، كما قال النبي ﷺ: [اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك...].

حوار جريدة الأمان

جريدة الأمان. بيروت.

العدد: /٢٢٥/. تاريخ: ١٩٩٦/١١/٤.

أجرى الحوار: أحمد إبراهيم الرفاعي



الأمان

كثيرة هي التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم، وأهمها تحدي الهوية والوجود.

فإلى أي مدى نستطيع الانطلاق من هويتنا الإسلامية ؟ وكيف نثبت للبشرية جمعاءَ روعة ديننا الإسلامي، وحلَّه لمشكلات الإنسان ؟

إنها همومٌ وأشجان ننطلق منها لمحاورة الدكتور محمود عكام ابن حلب الشهباء، وخطيب جامع التوحيد المشهور، وأستاذ مادة الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق، وأستاذ في قسم دبلوم التأهيل التربوي في جامعة حلب حالياً.

وهو، كما يُعرف عنه في مدينته، مجددٌ أصيلُ الانتماء ومعاصرُ التكوين، واعٍ لضرورة التعامل مع النص الإسلامي بروح العصر، ومعرفة مَطالب وحاجات الأمة، والاستفادة من الدراسات والعلوم الأخرى في فهمه، مع الاستعانة بجهود السابقين فهو يقول :

« لسنا من أولئك الذين يتحدثون عن كل مفردات النص وفهومه السابقة على أنها تراث لنحافظ عليه برمته، ولسنا من أولئك الرافضين لكل ماانتج عن النص سابقاً على أنه قديمٌ ينبغي التخلي عنه، ولكنني أدعو إلى التكامل في الطرح، وذلك بالتزام النص مصدراً لفكرنا، وتحديدمعالم هذا النص وتبيانه، ثم العمل على تنزيله وفق العصر الذي نعيشه، بأدوات سابقة، وأخرى لاحقة مستجدة، فما يسمى اليوم بالأركيولوجي، والأنتروبولوجي، والألسنية، ينبغي الاستفادة منها، واستيعاب العصر من خلالها، فهي دراسات إنسانية ونحن مع الإنسان وما يلامسه».

التقيناه وكان لنا معه الحوار التالي:

الأمان:

في ضوء التطورات والتغيرات العلمية الحديثة، على مختلف المستويات والأصعدة، كيف ينظر الإسلام إلى ذلك؟ وهل يمكن للمسلم أن يجد لنفسه مكاناً للإبداع، وأن يساهم في هذه التطورات العلمية؟

د. عكام:

أولاً، لابد من شكركم ودعاء إلى الله أن يسدّد خطاكم في مسعاكم الصحفي الجاد، في سبيل كل تنوير وتطوير.

إن بين العلم والإسلام صلة طريق وغاية، إن العلم يوصل إلى الإيمان بالله، والإيمان بالله يوصل إلى ضرورة الأخذ عن الله، عبر رسل يبلغون، ورسالات تُؤدّى، والإسلام واثقٌ كل الثقة أن الإنسان إذا ازداد علمه ازداد إسلامه لله: ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء﴾ فاطر/٢٨، ولطالما طالب القرآن الكريم الذين كفروا ولم يسلموا بمستندات علمية لما يقولون: ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ الأنعام/١٤٨. ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ البقرة/١١١.

ودعا المسلمين، بالمقابل، إلى الازدياد من العلم: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ طه/١١٤.

ولست أشك في أن القرآن الكريم يحوي بذور العلوم كافةً وجذورها، ومن هنا كانت «بانوراما» واسعةٌ جداً في عصرنا الراهن، عصر التقنية، والاختراع، والتطور، والإبداع.

فهناك من أسلم لأنه اكتشف في القرآن أمراً يمسُّ أصل الهندسة، وهو مهندسٌ فخضع وأذعن.

وهناك عالم الاجتماع الذي وجد بغيته في «كتاب الإسلام» أعني القرآن الكريم.

وثالثٌ دهش إذ سمع آيةً من كتاب الله تناولت أدق تخصصات الفلك، وهو من أربابه ورواده.

وأنا أختزن في ذاكرتي شواهد كثيرة، لعلها تُسكب على صفحات قرطاس خاص، فالقرآن يدعو، وبكل اختصار، الناس إلى أن يقيموا حياتهم على أسس علمية، وقواعد منطقية: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ الزمر/٩، ولا يرضى لأتباعه، ولا للناس كافةً، أن يعرضوا عن منهج العلم، ليعيشوا في فوضى الوهم، وصراع الترهات، التي لا تستند إلى ثوابت العلم، وأركان الفكر

تكاثر الحركات الدينية يعبر بإطلاقه عن حاجة الإنسان إلى الدين وأنَّ هذا الإنسان لاغنى له عن العلاقة بالذي خلقه

الصحيح .

أَقبلْ، ياسائلي، على الإسلام بعقل، مستخدماًأدوات العلم، تجد مأربك ومناك .

فالإسلام الذي أنجب الصديق، والفاروق، والمرتضى، والبصري، والشافعي، وابن رشد، والبيروني، والفارابي، والرازي، وابن حيان، ومسكويه، والعطار، والطهطاوي، وعبده، والكواكبي، وبخيت، وشلتوت، والخميني وشريعتي، والسباعي، وسواهم، ما أظنه يعقم اليوم، أو يقف في مواجهة العلم .

وكل الذي نستطيع قوله هنا : رحم الله امرءاً قاس الأمور بنظائرها، وأعرضَ عن قياسات متنافرة، فالإسلام ليس هو الدين الذي أرعب الغرب في القرون الوسطى، إذ أعدم العلماء، وشتت المفكرين، وأباح دماء العقلاء .

تلك خطيئاتهم أجرموا بها فما ذنبنا ؟!

وهل نقاس عليهم ؟! ساء مايحكمون .

الأمان :

تتكاثر اليوم الحركات الإسلامية، كردة فعل عن الوضع العربي المتردي، فيصفها البعض، لذلك، بالتطرف، بل ربما وصلت بعضها إلى التطرف والعنف .

فما أسباب نشوئها ؟

وما موقف الإسلام من بعض ماينتج عن بعضها من عنف ؟

د. عكام :

تكاثر الحركات الدينية يعبر، بإطلاقه، عن حاجة الإنسان إلى الدين، وأنَّ هذا الإنسان لاغنى له عن العلاقة بالذي خلقه فسوَّاه وقدَّره، لاسيما بعد فشل تجارب المبادئ الأرضية، من يمين ويسار ومشتقاتهما .

أما كون هذه الحركات متطرفة؛ فالتطرف

له أسبابه ودوافعه، وماهو إلا ردة الفعل الذي يساوي الفعل في القوة، ويعاكسه في الاتجاه، وكلنا يعرف أن شدة الضغط تولد الانفجار، وأن الإفراط وليد التفريط، وأن المصادرات الهائجة تحرك كوامن المواجهات العابسة الغاشمة، وهيهات مع الحوار المتوازن أن يولد تطرف.

إنه الغرب الذي بدأ فكان صاحب الخطأ والخطل، وذلك منذ أن قامت فكرة «الاستعمارية» في ذهنه، وجنَّد رجال فكر مأجورين، يشوهون للناس تاريخهم، ويسفهون دياناتهم، ويبرزون ضرورة وجود المستعمر الغربي وصياً عليهم، لكي يُقوِّم اعوجاجهم على حد الزعم.

وتتابع الأمر يوم ربض المستعمر بعد «التشويه» على صدر أمة من الناس فترة من الزمان، لاذنب لهم ولاجريرة، إلا عشق الحرية الفطري.

ظلمٌ قوبل بتطرف، وتشويه قابله تزمت، وعدوان واعتداء ناصبه إرهاب، ووسط معتدل ضائع بينهما، يتنادى اليوم لرفع تجاوزهما وتعديهما.

لقد عاش الناس بعد الاستعمار حالة قابلية له، أدت إلى تبنِّي أمور صدرت عنه، ولم يوافقها الإسلام، حتى إذا ما قام «مسلم» ينادي برفض هذه الأمور، وإزاحتها عن ساح سلوكنا، وبلغة حوارية هادئة، اتُّهم بالتزمت ليسكت، أوبالتعصب ليخفي صوته، وبدأت المناورة إلى أن انتهت ببحور دم، أوبقطعان من المحقرين المنبوذين.

نعم، إن مبدأ ردة الفعل مرفوض، فنحن أصحاب فعل، له أسسه، وقواعده، وانطلاقه، وأهدافه، ونرفض التطرف والتزمت، ولسان حالنا مصبوغ بصبغة قوله تعالى: ﴿ولايجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ المائدة/ ٨.

وبقوله ﷺ: [ليس منا من دعا إلى عصبية].

وبقول علي رضي الله عنه: (إخواننا بغوا علينا)، حينما سُئل عن «الخوارج»، وهم من أسقوه الكأس مراً.

الأمان:

تحظى المرأة باهتمام عال في الإسلام، فهي شقيقة الرجل، مادورها في المجتمع كما رسمه الإسلام؟ وهل مانجده من الحدِّ من حريتها

وإبعادها عن العلم والعمل، وبالتالي إلغاء دورها الاجتماعي، هل لهذا كله علاقة بالإسلام، كما يصور ذلك البعض ؟

د .عكام :

طبعاًلابد لكل صاحب فكرة من مستند ومتكأ، من أجل أن يعتمد عليه، ليقدم فكرته للناس، ولأن الدِّين له أثره وتأثيره عند الناس، يُلجأ إليه ويعتمد.

والمرأة دائماً «رمز»، ومن خلالها يُنظر إلى المبدأ، ومن خلالها يحكم على طبيعة المبدأ أوالمذهب، وبناءًعلى مبدأ الفعل وردة الفعل الذي تحدثنا عنه آنفاً، فقد خضعت أحكام المرأة له، ولازالت.

ولو أننا استمعنا إلى كل ماجاء عنها وحولها، من كل دعاة المذاهب على اختلاف توجهاتهم، وقارنا بين كل ما سطروه وسجلوه، لرأينا، ولست متعصباً، أن الإسلام أحسن في توصيفها، وأجاد في توظيفها.

ولكن ماذنب الإسلام، إن كانت الظروف التاريخية للمسلمين قد أوقعتهم في معادلات الفعل ورد الفعل؟ فانقادوا لها، وكادوا أن يستسلموا لمقولاتها، لولا نداءاتُ إصلاح كانت تعلو وتصدح هنا وهناك، تنادي هؤلاء، وتحثهم على ضرورة إعادة الأخذ عن مصادر الإسلام الأساسية، من كتاب وسنة، فيما يتعلق بالمرأة، وعن سواها، وبما عداها.

المرأة في الإسلام، ياسائلي، شقيقة الرجل، كما قال النبي ﷺ : [إنما النساء شقائق الرجال].

والمرأة عالمةٌ عاملة : ﴿أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أوأنثى﴾ آل عمران/ ١٩٥ .

والمرأة لها دورها الاجتماعي العظيم، فهي البنت الناعمة، والأخت الداعمة، والأم الراعية، والأخت الحاضنة، والجدة المؤنسة، ولكل ذلك دليله وبرهانه.

فما بال من تزمتوا يُشوِّهون ؟!

ومابال من جهلوا أو تجاهلوا يصدقون ويصرون على التشويه صفة أساسية للإسلام، ونحن نقول لهم غير ذلك، مع الدليل والبرهان ؟!

ياناس، المرأة في الإسلام حاملةُ أمانة، ومكلفة بالوصول إلى سدة الخلافة، ومخاطَبةٌ لتكون على أعلى نقطةِ امتداد التكليف، دون حاجز أو حاجب .

هـذه مـحـكـمـات، ومـاسـوى ذلـك متشابهات، ويجب رد الأخيرة إلى الأولى وهاكم الأمثلة من واقع التاريخ نستعرضها:

خديجة، وفاطمة، وعائشة، وسكينة، وخولة، أرأيتم على إحداهن الفكر المتزمت، أو الفكر المتهم؟! ألا ساء مايحكمون، متزمتين، ومتجاهلين معادين.

الأمان:

لكن لابد للمرأة، إذ تمارس دورها في المجتمع، من الاختلاط بالرجل في الجامعة والعمل، فما موقف الإسلام من ذلك؟

د. عكام:

كل مايمكن قوله في هذا المضمار أن الإسلام يسعى إلى تثبيت الطهر، والعفاف، والنظافة، والأناقة الداخلية، والخارجية، وعلى من يطلب ذلك أن يسعى إلى إيجاد الظروف، والمناخات التي توفر هذا، وتضمن ذلك، بغض النظر عن شكلية محددة، أوأسلوبية معينة.

وحين تمتد العين من طرف إلى طرف بخيوط خيانة، وحبائل فجور، جاء القرآن الكريم ليقول: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ النور/ ٣١-٣٢.

فإذا ما انتفت بيقين هذه الفوارق الفاسدة، فانظروا.

ومن ذا الذي يمنع نظرة قاض إلى وجه متخاصمة، أونظرة أستاذ إلى وجه تلميذة، أو نظرة معلم إلى وجه طالبة، أونظرة خاطب إلى وجه مخطوبة، أونظرة شاهد إلى وجه متهمة.

وحين نذكر الاختلاط الممنوع، نذكر أيضاً اختلاطاً يسفر عما لايزيد المجتمع إلا فساداً، من مجون، وفجور، وضياع حياء، وسفح أمامه.

أما إذا كان الاختلاط يؤدي إلى تثبيت الصفات المطلوبة، من طهر، وعفاف، ونقاء، وأمان، فدونكموه.

أوليس النبي ﷺ جمع إلى المجاهدين المجاهدات، وخطب فيهم يحضهم على مقارعة العدو، والتمسك بأهداب الحق والتعامل الإنساني؟!

أوليس في تاريخنا من خَطبتْ،

الحجاب: تخلّ مبدئي عما يتنافى مع الفضيلة والعفاف والطهر وعما يُخل بالآداب

ودرّست، وكان من الحاضرين رجال؟!

ثم هناك أيضاً من درّس وتكلم، وكان في الحاضرين نساء.

لعلنا إذ نذكر الاختلاط اليوم، نذكر صوراً مزرية، ولوحات تطبيقية فاسدة، ولكن ماذا عسانا أن نفعل إن كان التطبيق ضاراً؟

ونحترز فنقول: هناك فرق بين الاختلاط والخلوة، إذ الثانية خطيرة، ولاتدخل في ساح حوارنا، ونحن نتحدث عن الاختلاط.

الأمان:

مامفهوم الحجاب في الإسلام، ومادوره في حياة المرأة، وما أثره على دورها الاجتماعي؟

د. عكام:

الحجاب: تخلّ مبدئي عما يتنافى مع الفضيلة، والعفاف، والطهر، وعما يُخلُّ بالآداب، وتحليةٌ بالصفات الفاضلة.

الحجاب. لباس يرمز إلى قيم، وشكل يعبر عن مضمون، وهيئة تُراد لضمان حقائق إنسانية ثابتة.

وعلى هذا، فالحجاب لايعني عزلاً أوإلغاء دور، كما يحب تصويره بعض المغرضين، ولكنه دعوة إلى إتقان العمل، وإتقان الدور. فمَن عمل بمعزل عن الهوى نجح، ومن دخل الحياة من أبواب الفضيلة فاز.

ونحن نقول للتي تتقن شكلية الحجاب، إذ توافق فيه الشرع دون الهوى أيضاً:

أتقني مضمونه، وحافظي على الارتقاء في سلم الإنتاج الاجتماعي الفاعل، وتذكري دائماً سيدات سبقنك، لازلن مثلاً يحتذى في العلم، والجهاد، والحركة، والريادة.

وإياك أن تجعلي من حجابك عادةً ممقوتةً، أوعلامة تنطع منفر، أو ردة فعل، تُقلعين من خلاله عما يفيد المجتمع، ويطور

الإنسان، فخير الحياة قيمةٌ تُستمد من السماء، يحرسها أهل الأرض.

الأمان:

المعروف أن الإسلام دينٌ يصلح لكل زمان ومكان، وقد أفسح المجال للاجتهاد في كثير من الوقائع ومستجدات كل عصر من العصور على امتداد التاريخ، فإلى أي مدى يمكن الاجتهاد في النص القرآني والسنة النبوية؟

د. عكام:

إني لأعجب ممن يسأل هذا السؤال، وهو يرى ما أنتجه العقل المسلم، عبر قرون متوالية، نتيجة اجتهاداته الكثيرة الكبيرة، في القرآن والسنة الشريفة.

وهل أبعدنا عن الاجتهاد إلا تقاعسنا، وتكاسلنا، وعدم معرفتنا أدواته؟

ومامَثلنا إلا مثل من أقعده كسله عن النصر، فزعم النصر محذوراً، أو الظفر ممنوعاً، وراح يتهم من يخوض ميادينه، ويسلك سبله، حتى يبقى في حالة اجترار لنصر سابق، أو ظفر طال عليه الأمد.

هيا فاجتهد، وافهم، وافقه، وبادر، وتدبر، فقد قال ﷺ: [أفضل العبادة الفقه].

الاجتهاد حالة تدبرية مطلوبة، والإعراض عنها إعراض عن أهم ماطُلب من العقلاء فعلُه: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ محمد/ ٢٤.

وليس هناك حدود يقف العقل عندها، فلا يتجاوز، وهو يستطيع.

وإذا كان الاجتهاد بذلاً للجهود، واستنفاداً للطاقة، فأي حدود إذاً، وأي قيود؟

وأنا أقول هنا:

إن مصادرنا هي القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، والعقل الذي تكوَّن من مقاسات كلام الله، الذي خلق العقل، ويعلم منتهاه وبُعده.

الأمان:

تتزايد اليوم موجة رفض الآخر بين الحركات الإسلامية والمذاهب، ويتراجع الفكر المتنور المحاور، ما السبب في ذلك؟

د. عكام:

إن وضعاً نعيشه، وآلاماً تفتك فينا، وحالةً متردية تسيطر غيومها السوداء الداكنة

علينا، لايمكن أن تُنشئ سوى هذه النتائج، وكل إجابة سابقة من هذه المقابلة تساهم في إغناء إجابة هذا السؤال، فالجهل المسيطر على عقولنا، والعداوة المعشعشة فينا تجاه ديننا، والضغوط التي تصدر عن بعض منا على بعض منا، والظلم الذي يمارس على ساحتنا، والتمرد الذي لاسبب له إلا حب التسلط، والقهر الذي يُمارس منا علينا، كل ذلك، يا سائلي، مكونات تربة تُنبت تطرفاً، وتخنق تنوراً، وتبيد تطوراً.

أخيراً: شكراً لكم ياصحافة اليوم، إذ تساهمون في إيصال الفكر، وفتح موائد الحوار بين أطراف في عالمنا، وتغنون تطلعات التعرف فينا على مافي صدور أرباب الكلمة، وتسعون، دون خوف أو مجاملة، لرعاية الإنسان.

وأجزل التقدير لك أيتها الصحيفة «الأمان» على لقائك، هذا ودمت معطاءةً في محافل التنوير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



حوار جريدة المستقلة

جريدة المستقلة. لندن.
العددان: /١٣١ـ١٣٢/. تاريخ: ١١ـ١٨/١١/١٩٩٦.

أجرى الحوار: عادل حامدي



المستقلة

يقودنا المفكر الإسلامي فضيلة الدكتور الشيخ محمود عكام في هذا الحوار إلى أعماق الواقع الإسلامي والعربي الراهن، وإلى الخلافات الإسلامية الغربية، ثم الإسلامية الإسلامية؛ مفسراً مواضع التقصير، ومقدماً أسباب المعالجة.

حوار مثير، وآراء أكثر إثارة، يقدمها المفكر الدكتور الشيخ محمود عكام، الداعية الإسلامي السوري المعروف، والأستاذ بكلية الحقوق بحلب، تستحق الوقوف عندها بإمعان، آراء قد تكون مصدر جدل ونقاش كبيرين، فلنتابع ماذا يقول.

المستقلة:

كيف يحدد الدكتور عكام المشهد الإسلامي المعاصر؟

د. عكام:

توصيف الإسلام المعاصر شيء يحتاج إلى شرح طويل، وإذا أردتُ تلخيص ذلك، فيمكن تحديد هذا المشهد ضمن بابين: الإيجابيات و السلبيات.

١ـ أما سلبياته: فهي أن الإسلام مطروح من غير أن يكون هناك اندفاع، أو تهيؤ، أوإرادة جادة من أجل التطبيق، و لا يطرح مدعوماً بالتطبيق.

وهذا ما يشكل نفرة لدى كثير من الناس، إذ إن الناس اليوم يريدون المبدأ القابل للتطبيق، والمبدأ الذي تتحول مصطلحاته إلى وقائع، وقد سمعوا الكثير من المصطلحات

البراقة. لكنهم عزفوا عنها لأنهم وجدوها حبيسة أوراق، وحبيسة قاعات ومنابر.

فجمالية الطرح تفتقد إلى التطبيق، ولعل المثل الحلبي عندنا يمكن أن يكون أكثر دلالة: «إقرأ تفرح جرِّب تحزن».

ومن سلبيات الإسلام المعاصر، أنه على الرغم من كثرة المتحدثين باسم الإسلام، والمنادين به، إلا أننا بحاجة إلى نماذج مقنعة بين المسلمين، أكثر مما هي عليه اليوم، فنحن نريد النموذج المقنع، وفقدانه من حيث الكم، لا من حيث الأصل، هو سلبية أخرى.

السلبية الثالثة، هي سلبية فقدان الواقع الداعم، وهذا الواقع الداعم ينبغي أن يكون مجتمعاً، أومكاناً، أوأسرةً، أومدينةً، وكلما اتسعت مكانته التجريبية، ومصداقيته، كلما كان مقبولاً أكثر لدى الناس.

نحن نحدث الناس عن الإسلام، وإذ بالواقع الأفغاني يظهر على الساحة، ليجعلنا نخفي بعض حروف روعة الإسلام ورونقه.

نحدثهم عن الإسلام العظيم، فتظهر مشاكل مابين المسلمين في البوسنة، بعد أن انتهت مشكلتهم مع الصرب.

نتحدث عن الإسلام، فتكاد أن تختفي حروف الإعجاب من على ألسنتنا.

نحدثهم عن الإسلام فيعجبون به. وإذ بهم يرفعون من وراء رؤوسهم، لنراها نحن حتى تشكل عندنا شيئاً من الشعور بالتواري.

ومايحدث بين المسلمين من تيارات، مثلاً بين الصوفيين والسلفيين، من صراع، لايجري بين العدو وعدوه، هذه أهم سلبيات المشهد الإسلامي.

٢ ـ وإذا أردت أن أتحدث عن إيجابياته: فمنها أن هنالك ولادة في الشباب تدعو إلى ضرورة التعرف على الإسلام، ليس على سبيل التقليد، وإنما على سبيل الشعور المنبثق من داخلهم بالذات، وهذه نقطة إيجابية، فمعرفة الإسلام تؤدي بالضرورة إلى الاقتناع به.

وإلا فكيف تفسر إقبال الشباب اليوم على الإسلام في منابره المختلفة، في صلاة الجمعة، وفي المحاضرات والندوات، وأنا أدرس في كلية الحقوق، أستشعر حضوراً متزايداً عن كافة المواد الأخرى، وهذا دليل حرصهم على معرفة الإسلام.

ثانياً، إن هناك رغبة لدى الشباب الإسلامي في التعرف على الإسلام الأشمل

والأوسع، والعدول عن الإسلام الضيق الذي جُرب منذ فترة، إسلام الأحزاب والجماعات وغيره، فهناك يقظة من أجل البحث عن الإسلام الأشمل، والبحث عن الثوابت التي تجمع بين المسلمين، وأصبح بعض الناس يبحثون عن القواسم المشتركة بين كل المسلمين ونرى آثار ذلك في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ثالثاً، نوع من الالتفات إلى القرآن الكريم، لدراسته بحثاً وتطبيقاً، لاسيما وأن الاكتشافات العلمية، والتقدم العلمي في المساحات الأخرى من العالم الإسلامي ساعدت، من خلال رصيدها القرآني، على توثيق العرى بين المسلمين والقرآن، وهذه الإيجابيات كلها مترابطة بعضها ببعض، وأنا أعتقد أننا نسعى إلى إعادة رسم ملامح الحضارة الإنسانية التي ننشدها، لأن ميزة حضارتنا هي النص، فالعودة إلى القرآن هي عودة للحضارة.

المستقلة:

هذه اليقظة أو الصحوة التي تحدثت عنها، يعتبرها الكثير من الدارسين شكلاً من أشكال الهزيمة، هزيمة تجارب التحديث العربية، ومبررهم في ذلك ضبابية المشاريع الإسلامية المطروحة، كيف تقيّم هذا الرأي؟

د. عكام:

لا أدري من أين يتصيد هؤلاء المتهمون للإسلام هذه الأفكار ويعبرون عنها؟

أنا أرى أن المسلمين اليوم قد بدؤوا يتلمسون بوادر استيقاظ لايقظة، وهؤلاء الذين ذكرتهم يطلبون من المسلمين كل شيء بين ليلة وضحاها، فإذا لم يستجب المسلمون، على حد زعم هؤلاء، بتقديم المشروع، فهم حسب زعمهم غير قادرين على إدارة الواقع.

على أنني أضيف وأقول:

إن هؤلاء الذين يصفون المسلمين والإسلام بالانهزامية في هذا الوقت، وأنهم يحيلونهم على مشاريع ضبابية، أعتقد أنهم لو يطلعون على كل مساحة البانوراما التي يشملها الإسلام، إن في الوضع الراهن، أوفي الوضع السابق، فلو أنهم اطلعوا على نتاج المسلمين، سواء كان حديثاً، أوتراثاً، لوجدوا أن مانتج عنه من مشاريع نهضوية، أوانبعاثية،

يمكن أن يشكل في وعي هؤلاء المنتقدين مشروع قناعة بأن الإسلام، فيما إذا توبع في نفس الخط الذي ظهرت على أساسه البوادر، سيقدم المشاريع الجيدة.

وأنا أخاطب هؤلاء المنتقدين، وأقول لهم:

بدلاً من اتهام المسلمين بتقديم مشاريع ضبابية، ينبغي أن لاتكونوا أنتم ضبابيين أمامهم، وذلك بأن تدرسوا الإسلام، فإن وجدتم فيه الضبابية من خلال الدراسة ومصداقية الاطلاع، فاحسموا الأمر.

وإن لم تجدوا ذلك، ووجدتم القابلية فساعدوا هؤلاء المسلمين، وكلنا أبناء وطن واحد، وأرض واحدة، وجغرافيا واحدة، ولاأدري هل أنكم لاتريدون الإسلام لأنه إسلام، أم أنكم لاتريدون الإسلام لأنه يحمل بذور نهضة.

المستقلة:

تحدثت قبل قليل عن الواقع الأفغاني، كسلبية من سلبيات الإسلام المعاصر، وهذا نموذج لظاهرة إسلامية معاصرة. برأيك هل يمكن إيجاد أرضية استراتيجية بين التيارات الإسلامية، قبل غيرها، يمكنها أن توجد النموذج الواقعي المقنع الذي تحدثت عنه ؟

د. عكام:

لقد ذكرت مرة أن هنالك عدداً من المنظمات الدولية: كالأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، أتمنى أن يكون هناك شيءٌ آخر اسمه (جامعة الحركات الإسلامية).

هو حلم. ولعله يتحول إلى حقيقة. وهي جامعةٌ لايغني عن ضرورتها وجود عدد من المنظمات الإسلامية، كمنظمة المؤتمر الإسلامي.

وهي جامعةٌ يكون فيها لكل حركة إسلامية ممثل، من أجل أن تجمع المشترك بين هذه الحركات، وأن تقدم مشاريع معينة، لأن الحركات الإسلامية تتفق جميعها على هدف الإسلام الذي يغطي الإنسان، وتبغي الإسلام أرضاً تجمع الإنسان، كل الإنسان.

وعندما يكون هناك مثل هذه الجامعة، ومثل هذا التحديد للقواسم المشتركة، سنكون وقتها أمام قطعيات في هذا الدين، والقطعيات كفيلة بأن ترسم الهيكل العام لمشروع، أو تيار، أو سمِّه ماشئت، لأسس

الإنسان بطبيعته يطلب الحوار، والرجوع إلى الإسلام سيؤدي بالضرورة إلى الاقتناع بالحوار والخلاف

مجتمع إسلامي معين، وسيكون في اعتقادي مقبولاً بين الناس، وبالتالي يتحول هذا المشروع إلى واقع ملموس.

المستقلة:

تأسيس مثل هذا الهيكل، الذي أسميته بالجامعة الإسلامية، يقتضي بالضرورة إيمان أعضائها بالحوار، وحق الاختلاف، والديمقراطية.

هل هناك استعداد لمثل هذه الشروط لدى تيارات الإسلام السياسي المعاصر ؟

د. عكام:

أقول: إنني قبل دعوتي لتأسيس جامعة حركات إسلامية، أدعوهم إلى إعادة النظر، كلٌّ في حركته، في حكم الإسلام في الحوار، والاختلاف، وضرورة اللقاء بين المسلمين، على اختلاف توجهاتهم التكتيكية وليست الاستراتيجية، فإذا تم الإلحاح على هذه المراجعة، والتأكيد على أنها تطرح الإسلام لكل الناس، لكل نواحي حياتهم، والإنسان هذا فيه جزءٌ كبيرٌ يطلب الحوار، إذ بطبيعته الأنثروبولوجية يطلب الحوار، فما هو إذن موقف الإسلام من الحوار؟ ومن الديمقراطية؟ ومن اللقاء؟

وبما أنني واثق من أن الإسلام سيقدم لتلك الأسئلة الجواب الناجع والمطلوب، أردُّ الإنسان المسلم إلى دينه أخذاً بالمثل: (من فمك أدينك)، فارجع إلى دينك إذن، والرجوع إلى هذا سيؤدي بالضرورة إلى الاقتناع بالحوار والاختلاف، ونحن اليوم نتحدث عن الحوار بين الإسلام وغيره من الديانات والحضارات، فما بالنا إذا قلنا بين المسلم والمسلم.

المستقلة:

كثير من الإسلاميين اليوم يرفضون

حينما نفهم الديمقراطية مصطلحاً منظماً، يعني الحوار والتفاهم، فالإسلام معها، والدعوة حوار، وليست عدم السماح للآخرين بالكلام

الديمقراطية صراحةً، ويدعون لطرق أخرى يسمونها جهاداً، ويسميها خصومهم عنفاً. ماهو تصورك للديمقراطية والعنف؟

د. عكام:

هنالك مصطلحات منظِّمة، وهنالك مصطلحات معمِّقة ومؤسسة لمضامين ومفاهيم، وعندما يتحدث الناس، والعالم كله، عن الديمقراطية فهم يتحدثون عن مصطلح منظِّم، ونحن مع المصطلحات المنظمة، والإسلام يتبنى كل مصطلح منظِّم، لأن الإسلام دين النظام.

وحين تكون الديمقراطية مصطلحاً منظماً، أي القصد منه أن يصل الناس إلى التفاهم بطريقة سلمية، فالإسلام معه.

ولعل من رفض الديمقراطية، رفضها على أنها مصطلح محقق ومؤسس لمفاهيم مغايرة للإسلام، فهم الديمقراطية على أنها حكم الشعب نفسه بنفسه، بمعزل عن أن يأخذ هذا الشعب حكمه من ربه، أومن القرآن الكريم فهذه قضيةٌ مرفوضة.

لكن حينما نفهم الديمقراطية مصطلحاً منظماً، يعني الحوار والتفاهم، وهو المطلوب أولاً، لأننا عندما نتحدث عن الجهاد في الإسلام، نتحدث عن الدعوة أولاً، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة القتال، فالأصل في الجهاد هو الدعوة، والدعوة حوار، وليست عدم السماح للآخرين بالكلام.

الدعوة هي حركة تفاعلية بين من يدعو ومن يستقبل، وتحدث الله سبحانه وتعالى في قرآنه عن المجادلة: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾ المجادلة/ ١، فهذا السماع للمحاورة هو ديمقراطية اليوم، على أساس أن الديمقراطية مصطلح منظم.

لما ننتقل الآن خطوةً أخرى أقول: بأننا لما

ليس كل ما يصدر عن المسلمين من عادات صحيح النسبة إلى الإسلام، ومن ذلك العادات المتعلقة بالمرأة

سلكنا الديمقراطية، بمعنى المصطلح المنظَّم، سلكناه بقناعة، فلئن فشل هذا الأمر فلا يعني ذلك العدول عنه.

وفشل أي فكرة، لها أدلتها ومصداقيتها في الإسلام، لايعني العدول عنها، وأحياناً كما قال الإمام الغزالي: إذا فشلت الفكرة فقد يكون السبب لايعود إلى الفكرة في حد ذاتها، وإنما إلى من طبق هذه الفكرة في علاقته وارتباطه بها.

وإذا فشلت الديمقراطية لابد من إعادة النظر في قيامي بهذه الفكرة، والإمام الغزالي يقول أيضاً:

لاتَلُمْ إنساناً لم يستجب لك، وأنت تدعوه إلى محمد ﷺ، فما يدريك أنك إذا أردت أن تبلِّغ هذا الإنسان محمداً ﷺ، بلَّغته مذمماً، فرفض محمداً ﷺ! وهو في الحقيقة رفضك أنت بأسلوبك، ولم يرفض محمداً ﷺ.

المستقلة:

هناك انتقادٌ آخر موجه للإسلاميين، ويتعلق الأمر بالمرأة وحقوقها ومكانتها. فالإسلاميون، حسب رأي خصومهم، ينظرون إلى المرأة نظرة دونية. هل لك أن توضح الصورة؟

د. عكام:

يروقني كثيراً حديث عباس محمود العقاد في كتابين له: عن المرأة في القرآن، والمرأة بشكل عام، ولست أدري من أين أتى هؤلاء المنتقدون للإسلام بهذه المقولة عن الإسلام، ونظرته الدونية للمرأة، ربما كان في البداية نوعاً من الاتهام الذي لايستند إلى الواقع، لكنه يؤسفنا بعد ذلك أن نسمع من منتقدين، انتقادات تنسب للإسلام، وهي مأخوذة من غير الإسلام، مأخوذة من عادات لبعض المسلمين، وليس بالضرورة أن كل ماصدر عن مسلم من عادات أن ينسب للإسلام،

فالمنتقدون للإسلام برأيي انتقدوا، وحق لهم ذلك، عادات بعض المسلمين، ندعوهم لتصحيح مصدرها، وهو العادة، وليس الإسلام.

ونحن نعرف أنه ليس هيناً أن يغير الإنسان عاداته بمجرد شهادته أن لا إله إلا الله، إذن فهم حملوا هذه العادات على الإسلام، ثم انتقدوه بما ليس منه. هذا أولاً.

الأمر الثاني: أنا لا أريد أن أتحدث عن المرأة كما فعل عباس محمود العقاد، وأريد للمرأة أن تتحدث عن نفسها، ولعلي حينما أتحدث عن المرأة أثبت قضية الدونية لها، وأعتقد أنها ستقتنع بمصداقية التوصيف القرآني لكل إنسان.

وأنا من خلال اعتراضاتي على منتقدي الإسلام، أنها إما أن تكون تابعة للعادات، أو لجهلهم بالإسلام.

وأتمنى أن يكون هناك فدائيون يقومون بانتفاضة، يحولون فيها النظام الإسلامي إلى واقع، هم سيتحملون عناءً وشتماً واستهزاءً من قبل المسلمين أول الأمر، ومن قبل المسلمين العادويين (أتباع العادة)، وسيتحملون أيضاً بعض العناء من هؤلاء المنتقدين للإسلام، لأن قسماً كبيراً منهم لاينتقدون الإسلام لأنهم يمتلكون مقومات الانتقاد، ولكن من باب ردة الفعل لاغير، أومن باب التبرير دون التفكير.

المستقلة:

هنالك مسألة أخرى، أثارها ويثيرها عددٌ من المهتمين الإسلاميين وغيرهم، وهي مسألة «الردة» وحكم الإسلام فيها. أثرناها في «المستقلة» وقال فيها الترابي بأن حكمها مأخوذ من حدث عسكري آني، وأيده في ذلك المفكر جودت سعيد، في حين قال آخرون بأنها حكم شرعي أصلي، هل لك رؤية في هذا الموضوع ؟

د. عكام:

كما قلت منذ قليل، أنا على ثقة بالإسلام ونظامه، ولكن علي أن أسعى وأجتهد للوصول إلى ما قاله الإسلام، في أي نقطة ما.

و كل ما أخشاه أن يحول كل إنسان رأيه إلى قضية قطعية قالها الإسلام، ومايقوله الدكتور الترابي، والأستاذ جودت سعيد، هو لخوفهم من أن يوصم الإسلام بالعنف

والسطوة، ولكن أيضاً ليكونوا معي مطمئنين، فحينما تحدث الإسلام عن قضية قتل المرتد، لم يكن حديثاً عشوائياً، أوسريعاً، أومصادرة لحق الإنسان.

ووجود عقوبة لفعل معين اتفق علماء القانون وأهل الدستور على تجريم هذا الفعل، فما أعتقد أننا اليوم بحاجة إلى دراسة كل جريمة، لنقول هذه العقوبة كبيرة أوقليلة عليها.

أهل القانون بحثوا، وقالوا هذه الجريمة تحتاج إلى هذه العقوبة، لكن هذه الجريمة الآن معقدة، ولايعني أننا نحن الذين نحكم على الشخص بالارتداد والقتل كأننا نسارعه الوقت لنقضي عليه.

فنحن يمكن أن نراعي ماقاله الترابي وجودت سعيد في طريقة تطبيق هذا الحكم، وليس في إلغاء الحكم، وليس في العدول عنه، يعني أن الخير المبتغى عند الترابي وجودت سعيد يراعى في منهاج تطبيق الحكم، ونتحدث عن انعطافية الإسلام في كيفية التطبيق.

وإلغاء العقوبة، والاجتهاد في إقصائها، هو اختراق لأمر لايقبل الاختراق من قبل اجتهاد بشري أوشخصي، ولايقول الأستاذ جودت سعيد هذا.

هذا أمر رباني أن ينصب على أصل الحكم، لاعلى تطبيق الحكم، فالسرقة عقوبتها قطع اليد، وهذا لا اجتهاد فيه، لكن تطبيق الحكم فيه اجتهاد، واجتهد عمر رضي الله عنه، ولم يقطع يد السارق.

فأنا أقول لكل من الطرفين: أيها المانعون لمثل هذه العقوبة، ما تريدونه من خير، مُراعى في التطبيق، ونحن نمتلك القدرة على الاجتهاد في التطبيق، فقد يرتد إنسان حسب الظاهر، ولانحكم عليه بالردة.

ونقول للطرف الآخر: أيها القائلون بتطبيق هذا الحكم آمل أن يكون عدم اجتهادكم فيه منصباً على الحكم بحد ذاته، عقوبة الردة القتل هذا صحيح، ولكن عليكم أن تجتهدوا في التطبيق، وعند ذلك نستطيع أن نقدم قانون العقوبات، وتقديم الإسلام بدون هذا القانون لايعني مدحاً للإسلام، ولكن عقلنة العقوبات في مناسبة الحكم، وفي كيفية تطبيق الحكم، أعتقد أن هذا هو الذي يمكن أن يدعى إليه الناس.

المستقلة :

هناك مسألة مطروحة بإلحاح في الفكر الإسلامي المعاصر هي علاقة المذاهب العقيدية ببعضها، ويتعلق الأمر بتجربتين إسلاميتين في إيران والسودان، فالأولى شيعية والثانية سنية، وما يلاحظ من جفاء بين البلدين ينبئ بعدم وجود مشتركات بينهما، كيف تقيم هذا الوضع؟

د. عكام :

المشكلة أننا أحياناً نعمم جزء الإسلام على كله، بمعنى أن الإسلام سياسة واقتصاد وعبادة وأخلاق... فأحياناً نتحدث عن الإسلام من خلال نظرتنا للسياسة فقط، أو الاقتصاد فحسب، أنا أقول:

قد يكون هناك تنافر بين دولة وأخرى، لكن هذا التنافر، صحيح أنه تنافر بين المسلمين، لكنه في نقطة واحدة هي السياسة، أو التكتيك، على فرض الفرق بين الاستراتيجية والتكتيك، فلما نتكلم من خلال الإسلام السياسي، سنجد تنافراً لكن لما نتكلم من خلال إسلام العبادة فليس هناك تنافر، فالناس يصلون في السودان كما في إيران، والزكاة هنا وهناك، والأخلاق هنا وهناك.

وعندما نتحدث عن إسلام العقيدة، فهناك يُتحدث عن إيمان بالله ورسوله، كما في البلد الآخر. نتحدث عن الإسلام السياسي، فنجد هناك تنافراً، فنقول: إن الإسلام تنافر.

هذا تعميم للجزء، فبيني وبينك قواسم كثيرة مشتركة، لكن عندما تبحث فقط لماذا لانكون تونسيين فأنا لست تونسياً، فأنا سوري، وهذا لايؤثر على طبيعة العلاقة، حينما تنظر من خلال التونسية تجدنا مختلفين، لكن حين تنظر إلينا من خلال سلوكنا فنحن واحد، فمن هنا أقول:

بأن المسلمين اليوم مدعوون إلى تقديم أسس وحدة نظرية بين أكبر عدد ممكن من الناس، وهذه الوحدة مطلوبة من الشيعة والسنة، والمذاهب الأخرى بالشكل التالي:

شكلٌ لايعني أن يكون السني شيعياً، ولاأن يكون الشيعي سنياً، ولكن يعني أن يقدم السني والشيعي خطاً، أو دائرة مأخوذة من هذا الإسلام، من خلال المتفقات والمشتركات، تجمع هؤلاء وتبين للناس كافةً أننا بالرغم من اختلافنا في نسبة ١٠٪، فإننا

لعلنا نظلم الغرب في لحظة ما إذا عاديناه لمجرد كونه غرباً لأننا ننظر إلى الغرب دون النظر إلى الواقع الراهن

متفقون على ٩٠٪، وأن الاتفاق الكامل غير ممكن، ولابد أن يكون هناك اختلافات.

ويكون هذا التقديم من خلال التأكيد القولي والتأكيد العملي، وأملي، في إيران والسودان وغيرهما، أن نختلف في أشياء كثيرة، وهذه سماها الإسلام ظنيات، وأن لاتتحول سياسة خلاف الظنيات إلى سياسة مواجهات، وأن يسعى من أجل إظهار وشيجة الأخوة، وعلاقة الأخوة، من خلال القطعيات التي تؤسس لعلاقة وارتباط، وإذا ترك الغرض جانباً فأعتقد أننا سنلتقي جميعاً، لأن مقومات اللقاء بيننا موجودة.

المستقلة:

يرى كثير من الدارسين العلاقة المفترضة بين العالمين الإسلامي والغربي صدامية، وآخرون يقولون بالحوار بينهما ،من خلال معايشتك للغرب وللمسلمين، كيف ترى هذه العلاقة ؟

د. عكام:

قد نكون محل إسقاط لعداوات سابقة، ولا أدري حقاً كيف تهيأنا نحن أن نكون وارثين لعداوات بدل أن نكون وارثي إصلاحات، لذلك ورثتنا الحروب الصليبية اليوم رفضاً للغرب، وكلما تكلم إنسانٌ عن الغرب عليه أن يشتمه. ويفعل الغربي نفس الشيء، فقد ورث العداوة للشرق فبمجرد الحديث عن الإسلام يشتمه.

لكن هناك بوادر في الغرب إصلاحية جيدة، نقدت تاريخها الذي حملها عداوات لم يعيشوها، وتريد الآن التخلص منها، وأنا أقول الآن لأبناء بلدي وديني: من يدري فلعلنا نحن نظلم الغرب في لحظة ما، إذا عاديناه لمجرد كونه غرباً، لأننا ننظر إلى الغرب دون النظر إلى الواقع الراهن، بل إلى سابقه المعادي، وهو يقول لك: لماذا تحاسبني على جريرة أبي وجدي.

أقول يمكن أن يقبل الغرب الشرق، ويمكن

أن يقبل الشرق الغرب بكل بساطة لكن هذا يحتاج إلى أمور :

الأمر الأول: التعرف على المخاطب، فإن لم أعرفك لا أستطيع أن أتحدث عن مقبولية بيني وبينك.

فلنعرف الغرب إذا أردنا أن نتحدث عن علاقة، عن حوار، عن صلة بيننا وبينه.

الأمر الثاني: أن نخاطب الغرب بضرورة معرفتنا نحن، لا أن يتعرفوا علينا من غيرنا، ولا أن يحكموا علينا من خلال مواقف أجدادهم مع أجدادنا، في يوم من الأيام.

إذاً علينا أن نتعرف على الغرب، وعلى الغرب أن يتعرف علينا.

الأمر الثالث: بعد ذلك علينا أن ندعو الغرب إلى الإسلام النقي، الإسلام العالمي، لا أن ندعوهم إلى عاداتنا على أنها إسلام.

ومشكلتنا أننا أحياناً ندعو الغرب إلى إسلام فيه عاداتنا، وعاداتنا لايقبلونها.

علينا تقديم الإسلام مجرداً من عاداتنا، مادام الإسلام الذي نطرحه هو إسلام العالمين، ثم بعد ذلك هم ينزِّلون هذا الإسلام وفق تنزيلتهم الجغرافية، والطبيعية، وعاداتهم، لأن الإسلام يتحمل التنزيل بحسب كل جغرافيا معينة.

ثم علينا في دعوتنا هذه للغرب أن نظهر له سر الدعوة أوالحوار وهو المحبة، ولكن أنا عاتبٌ للغرب وأقوله له :

أعرفك أيها الغرب موضوعياً، إلا في نقطة التعرف على الإسلام، فلا أجد موضوعيتك، لقد ساءني جداً، في يوم من الأيام، أن تابعت برنامجاً في التلفزيون الفرنسي عن أنواع الزواج في العالم، وتحدث كل طرف عن عادة الزواج عنده، إلا الإسلام، فكان المتحدث عن الزواج فيه قس من فرنسا، فهل الموضوعية أن يتحدث عن الزواج في الإسلام قس، أم الموضوعية أن يتحدث عنه عالم مسلم.

تبقى نقطة أخيرة في هذا الباب، وهي مهمة، وتتعلق بضرورة تعرية أولئك الذين يقدمون الإسلام بصورة مشوهة من أبنائنا، وأذكر كلمة للترابي هي قوله : (نحن مقصرون في تعرية بعضنا).

نحن نتحدث عن الآخرين ونعريهم. كذلك ينبغي أن نكون أقوياء في مواجهة بعضنا، حتى إذا ماواجهنا الآخرين لن نُعاتب على أننا نداهن جبهتنا ونعادي الآخرين.

المستقلة :

ولكن هناك شق آخر من الغرب الراهن يعادي العرب والمسلمين، ويجاهر بذلك من خلال دعمه المطلق لإسرائيل كطرف معاد للعرب، فالغرب الموضوعي هذا يمارس علاقة وراثية عدائية مع العرب، ويكرسها، والمفاوضات العربية الإسرائيلية أحد وجوه هذا العداء، ماهو الموقف الإسلامي المطلوب في هذه المرحلة من هذا الموقف العدائي ؟

د. عكام :

أولاً - أنا عندما أخاطب الغرب أُفرِّق بين الحكومات وبين الشعوب، وماتحدثتُ عنه قبل قليل هو الشعوب، وهي التي تهمني، لأن الشعوب هي التي تصنع الحكومات، وليس العكس.

فأما الحكومات الغربية اليوم التي تتعاطف مع إسرائيل من خلال استجابة لدعوة صهيونية نشطة هنا وهناك ،كانت قد قامت في غفلة من دعوة إسلامية نشطة واعية، ففي أمريكا ينشط اليهود وكأنهم في تل أبيب.

لذلك أقول: لو أن الجاليات العربية كانت نشطة إلى حد ما، والآن هذا الكلام نوعٌ من التمني للمجمل العام، ولو كانت متحركة، ولو عملت لوبي كما فعل اليهود، وتحركت مع الدول والشعوب والأحزاب، لكان لها تأثير.

طبعاً نحن نعرف العداء القديم للإسلام، وهناك أشخاص يدفعون لهذه الأحزاب من أجل أن يستمروا في عداوتهم للإسلام، لكن لايجب أن أتهم الشيطان، ولكن أتهم نفسي، فنحن مقصرون في لحظة ما، وإلا لاتهمنا ربنا عز وجل.

الآن بلاشك هناك مأزق السلام بيننا وبين إسرائيل، أوعرقلة السلام التي تجيدها إسرائيل، هي في النتيجة عرقلةٌ منا نحن، ﴿ولايظلم ربك أحداً﴾ الكهف/٤٩، هم بلاشك أعداء يشتغلون لعداوتنا، ولكن سيقع اختلالٌ في السنن لو ربحنا الآن، لأن الرابح يفترض أن يكون قد قدم رأسمالاً كبيراً، فما هو رأس المال الذي قدمناه ؟

أين العلاقات الطيبة بين مصر والسودان، وأين العلاقات الطيبية بين مصر وليبيا، وأين العلاقات الطيبة بين العراق وجيرانه، وأين العلاقات الطيبة بين مدينتين في بلد واحد ؟

فإذا كانت العلاقات غير طيبة بين الإخوة

فلا تنتظر أن تكون هناك علاقات تسير بالسمن والعسل بين العرب وإسرائيل .

ما هو موجودٌ أمرٌ طبيعي جداً، وما بيننا وبين إسرائيل عداوة مستمرة، ولا يمكن أن تصل إلى سلام مهما طالت، وسيبقى الصراع إلى أن يكون انتصار المسلمين كمؤشر اجتماع ووحدة والتقاء، ولكن قبل هذا فلنلملم مابيننا وننزع العداوات فيما بيننا، فهذا هو الطريق الصحيح، وإذا كان هناك إسرائيلي قد قتل مسلمين كثيرين في الخليل، فلدينا من قتل في المساجد أضعافهم!

حوار جريدة كيهان

جريدة كيهان العربي. طهران.

العدد: /٣٧٩٣/. تاريخ: ١٩٩٦/١٢/٢٤.

أجرى الحوار: حميد حلمي درويش



كيهان العربي :

الدكتور محمود عكام من المفكرين السوريين، العاملين في حقل ربط الجامعة بالجامع والمؤسسة الدينية، بعيداً عن حالات التنافر والتباعد القائمة فيما بينهما، ويرى د.عكام، الحاصل على الدكتوراه في الفكر الإسلامي السياسي من جامعة السوربون، وجوب ردم الهوّة ما بين هاتين المؤسستين، باعتبار أن أساس كل منهما هو العلم.

وهو إضافة إلى كونه أستاذاً وباحثاً في جامعة حلب، ومشرفاً على الموسوعة الإسلامية الميسرة التي صدرت في أحد عشر جزءاً، يعمل خطيباً في جامع التوحيد في عاصمة الدولة الحمدانية قديماً، وقد صدر لفضيلته العديد من الكتب والدراسات من أبرزها (الحاكمية والسلطة في الفكر الإسلامي السياسي في القرن الخامس الهجري، دراسة مقارنة بين السنة والشيعة)، وله محاضرات قيمة في مجال الدعوة الإسلامية ،والتقريب بين المذاهب، وحقوق الإنسان في الإسلام.

مندوب كيهان في دمشق التقى المفكر الإسلامي محمود عكام مؤخراً، وأثار معه عدداً من المحاور ذات العلاقة بواقع نشاطه التوعوي والإرشادي، وكذلك قضايا أخرى، باتت مثار جدل ومواقف متباينة، على صعيد الساحة الإسلامية الراهنة، وذلك في إطار هذا الحوار:

كيهان :

برأيكم لماذا الجفوة الفاصلة بين الجامعة والمؤسسة الدينية ؟

د. عكام :

الأصل أن الجفوة حصلت من خلال

ابتعاد بعض القائمين على الجوامع عن العلمية .

وأقصد الجوامع التي تشكل لب المراكز الإسلامية بشكل عام، وعندما ابتعدوا عن العلمية أصبح الجامع يرمز إلى الدين الذي يقف بوجه التطور والعلم .

ومادام الغرب قد فصل ما بين الدين والدولة والكنيسة؛ من خلال بعض ممارسات القائمين عليها؛ فقد أعادوا لنا الكرّة، ورُمز إلى الجامع كعنوان للدين الذي يقف بوجه العلم، أما الجامعة فهي التي تعطي العلم .

إذاً، ما في الجامع يمثل الدين الرافض للعلم، وما في الجامعة يمثل العلم، وهذه أسباب العداوة التي حصلت بينهما .

كيهان :

ولكنها عداوةٌ وصلت إلى حد المواجهة أو الحرب !

د . عكام :

نعم، نعم، ولذلك نسعى الآن من أجل أن نردم الفجوة بين الاثنين فنقول للجامعة : أعيدي النظر بموقفك من الدين الإسلامي، لأنها قايست الجامع على المركز المماثل أو المشابه له في الغرب، والذي احتوى الدين ورفض الجامعة .

نقول للجامعة : لو اطلعت على حقيقة ما ينبغي أن يكون في الجامع . لرأيت أنك وإياه متفقان على ضرورة الانطلاق من العلمية، التي تحدد مسار الإنسان الساعي للبناء، والتطور، والفاعلية الهادفة، من أجل تكوين الإنسان الصالح بشكل مطلق في هذه الحياة .

كيهان :

هل هناك أطر معينة يمكنها أن تدمج علماء الدين بالنخبة المثقفة ؟

د . عكام :

هنالك إطار يمكن أن يجمع هذين الطرفين، هذا الإطار سنتخذه من كتاب، لا يمكن أن نسميه فقط كتاب (الجامع)، وإنما هو كتاب الإنسان .

وكتاب الإنسان هذا، الموجود في الجامع، هو نفسه موجود في الجامعة، وعلى الإنسان أن يبحث عن كتابه، لينطلق منه، ليجد فيه وصفه، ويجد وظيفته .

أهل الجامع مطالبون ببذل الجهد من أجل رسم ملامح الإنسان، ومن أجل تقديم ما يساعده على البقاء على إنسانيته في أسمى صورها المادية والمعنوية

وهذا الكتاب، كتاب الإنسان، الذي نسميه القرآن، أنزله الله من أجل هذا الإنسان.

فإذا ما أقر الطرفان: أرباب الجامعة، وأرباب الجامع، بضرورة الانطلاق من نص يجد الإنسان فيه وصفه ووظيفته، إذاً ستلتقي الجامعة بالجامع.

وأهل الجامع مطالبون ببذل الجهد من أجل رسم ملامح الإنسان، ومن أجل تقديم مايساعده على البقاء على إنسانيته، في أسمى صورها المادية والمعنوية، وأعتقد أن الجامعة تريد أن تفعل ذلك، وكتاب الإسلام كفيلٌ بتوحيد الجامعة والجامع، من خلال استيعابه للإنسان، الذي لاتختلف أهدافه، سواء أكان في الجامعة أوفي الجامع.

كيهان:

هناك قضية مطروحة، وهي قضية حقوق الإنسان في الإسلام، ومانشاهده من خلط في المفاهيم، ومحاولات استكبارية صهيونية لرفع شعار (حقوق الإنسان) ذريعةً من أجل الوصول إلى غايات سياسية، فماهو الفرق برأيكم بين المفهوم الإسلامي لحقوق الإنسان، والشعار الأمريكي، باعتباركم عايشتم الواقع الغربي فترةً من الزمن ؟

د. عكام:

نحن متفقون على أن للإنسان حقوقاً، ومتفقون على أن الإنسان أكرم مخلوق، وأن الإنسان هدف أساس في هذه الحياة، وأعتقد أن هذه الأمور التي أعبر عنها لايختلف في الاتفاق عليها إنسان، سواء أكان يعيش في الغرب أو الشرق، ولكن دعنا نقدم تمهيداً لهذه الأمور بقولنا:

الإنسان بلاشك يحتاج إلى توصيف وتبيان أبعاده، نقول للإنسان في كل العالم:

نحن حينما نريد أن نقدم وصفاً للإنسان، وتبياناً لأبعاده، نسعى إلى جهة هي الأعرف بهذا الإنسان، وقد تبيَّن لنا بالدليل، والعقل، والدراسة، أن الجهة الأعرف بالإنسان هو الذي خلقه، وأعتقد أن أحداً لايستطيع أن يخالفنا في هذه القضية، وإذا كنا نؤكد أننا جادون في الوصول إلى توصيف لهذا الإنسان من قبل جهة هي الأعرف، وهو خالق الإنسان، فإن العالم بأجمعه اليوم أضحى يقول بأن للإنسان خالقاً، وعندئذ فلنبحث عن كتاب الخالق، الذي يبين فيه صفة هذا الإنسان.

لقد درسنا القرآن الكريم أولاً، ووجدناه يُنسب إلى الله بصدق، وقرأنا فيه توصيفاً للإنسان، يستحيل على أية دراسة اليوم أن تكون نظيرةً لذلك التوصيف، والآن نقول للناس:

إن الذي وصف الإنسان وصفاً دقيقاً وصحيحاً هو الخالق، الذي يعلم بكل تفاصيل الإنسان، فيجب أن نأخذ منه، ليس فقط التوصيف، بل الحقوق والواجبات، وبعد الدراسة التوثيقية للمصدرية، وبعد الدراسة التأكيدية على ضرورة أن يكون الإنسان باحثاً عن جهة هي أعرف به منه، وبعد الدراسة الموضوعية لحقوق الإنسان، وواجباته، ووظيفته الموجودة في القرآن الكريم، وجدنا أن القرآن الكريم كشف عن حقوق الإنسان التي لانجدها في أي دين، أوأية نظرية أخرى في مثل الوضوح الذي طرحه كتاب الله العزيز.

انظر على سبيل المثال:

الله عز وجل كرَّم الإنسان عندما كلَّفه، والتكليف تكريم، والتكليف حق، وأهم حق من حقوق الإنسان أن يكون مكلفاً، لأن الإنسان من غير عمل يستشعر أنه ينبغي عليه أن يقوم به، لايشعر بإنسانيته، وقيل الآن في عالم الغرب في كتاب كتبه (فرانسيس فوكوياما) (نهاية التاريخ والإنسان الأخير):

إن أهم شيء يستشعر الإنسان وجوده من خلاله وجود مهمة له.

إذاً، فالقرآن الكريم دعا إلى تكريمك، وكرمك، وكلفك، واعترف بكل دوافعك، ونظمها، ثم بعد ذلك اعتبرك، أنت أيها الإنسان، المسؤول النائب عن الله عز وجل في الأرض، فالله عز وجل خلق الإنسان ليكون القيِّم في الأرض نيابةً عنه: ﴿إني جاعلٌ في

الأرض خليفة﴾ البقرة/ ٣٠ .

وعلى هذا الأساس، إذا قال قائل: أين حقوق الإنسان في الإسلام؟ فنحن نقول أين حقوق الإنسان في غير الإسلام؟

إن حق الإنسان في الإسلام حقٌ ثابتٌ ديانةً وتاريخاً وتقريراً من الله عز وجل.

وإن وجدتْ حقوق للإنسان لدى غير الإسلام، فمن يدري ربما أُثبتت في فترة من فترات التاريخ، ثم مُحيت في فترة أخرى.

وفي الوقت الحاضر قد يضطر العالم الغربي إلى تغيير حقوق الإنسان، وشتان بين من يستطيع أن يغير في قانونه، ومن يغير ذاته ليكون وفق القانون الذي ثبتت صلاحيته قديماً وحاضراً، وأعتقد أن صلاحيته ستثبت مستقبلاً.

كيهان:

ماهي مشكلة انعدام الديمقراطية في البلدان العربية والإسلامية، على ضوء مايشار له من حرية في الغرب، واضطهاد في الشرق، على الرغم من أن حرية الغرب هي على حساب اضطهاد الإنسان في الشرق؟

د. عكام:

أخشى ماأخشاه أحياناً أن يكون الاتهام موجهاً إلينا لأننا نتحرك، ودائماً الإنسان بطبيعته السلبية لايريد أن يرى متحركاً، لأن الحركة دليل الحياة، وبالتالي يحمله حسده وغيرته على أن يرفض بكلمات مختلفة هذا التحرك.

وأنا أخشى لأننا نتحرك، بالرغم من أن واقعنا ضعيف لايتحمل التحرك، وأُريدَ لنا أن نبقى في هذه الحالة الضعيفة حتى لانتحرك، وهم في الخارج يستغربون الواقع الضعيف عندما يتحرك أفراده بطموحات كبيرة، ولذلك يقولون أنتم ضد الديمقراطية، وضد اعتراف الإنسان بالإنسان، وأنا أقول:

إذا كنتم اتهمتمونا لأننا نتحرك، فعليكم أن تسمعوا وتفهموا دوافع تحركنا، فعندما نتحرك وندعو إلى الإسلام، فلايعني ذلك أننا نُبطل الديمقراطية، ولايعني ذلك أننا نريد أن نلغي الآخرين، والله عزوجل قال: ﴿لا إكراه في الدين﴾ البقرة/ ٢٥٦.

نحن دُعينا إلى أن ننظر إلى الإنسان أينما كان على ضوءٍ وأساس من التصور السابق الذي ذكرته: الإنسان مكرَّم، الإنسان

الإسلام يحتمل كل محاسن الديمقراطية، ويضيف عليها بعداً جديداً، هو البعد الداخلي، أعني دافع الحب

مخلوق ممتاز.

وبالتالي، فحينما أتحرك أنا، سلني عن دافع تحركي، ولاتتصوروا أن تحركي سلبي، أنا أتحرك داعياً إلى ديني لأنني أحب الإنسان، وبالتالي فهذا التحرك الذي يقف وراءه الحب هو سبيلي إليك، ولأني أحبك أريد أن أوصل لك هذا الخير (الإسلام).

ثم بعد ذلك لا أريد أن أضغط عليك من أجل أن تلتزم هذا الخير الذي وصلت إليه، وإنما القضية مفتوحة من أجل أن تتحرك أنت، حتى توصل إليَّ الشيء الذي تقتنع به.

ولكن أريد أن أسألك السؤال الذي سألتُ به نفسي وأجبتُ عنه، وأريد أن تجيبني عنه: ألا تتحرك بدافع الحب لي، كما أتحرك أنا بدافع الحب؟

فالدعاة يتحركون بدافع حب الناس، ليقدموا لهم توصيفهم، الذي اعتقدوا أنه توصيف الله عز وجل الخالق، فهذا التحرك الذي يدفع إليه الحب، لاأعتقد أنه يحيا في الديمقراطية، بل إن الديمقراطية تسعى في أحسن أحوالها من أجل أن تؤطر الحياة، ومن أجل أن تذكر الحب في بعض ثنايا أسطرها، ولكنها لاتستطيع، مع الأسف الشديد، أن تتكلم، وأنا حينما أتحدث عن النبي ﷺ ودعوته، وتحمله، وصبره، ومواقفه العظيمة، وصفحه، فأجد أن نصوصنا تحتمل كل محاسن الديمقراطية، والواقع الذي نريد أن نصل إليه يتطلب كل محاسن الديمقراطية، ونزيد عليها بقولنا نصوصاً تحتمل وتضيف للديمقراطية شيئاً آخر، هو الدافع الداخلي، هو الحب.

وعندما نبحث عن تطبيقات صحيحة لهذا النص، الذي يستجمع كل محاسن الديمقراطية، فإن تاريخنا يحتوي تطبيقاً ورصيداً طيباً جداً، ولكن ماذنبي إذا كان الآخرون، وبدافع قوتهم المادية الآن، يريدون أن يُبطلوا معاييرنا الإنسانية، وأن يستخدموا كل النقاط السوداء في تاريخنا على أنها

التاريخ المعمَّم، ماذنبي؟

وأقول كإنسان مسلم، وأمارس شعائر ديني :

نحن ندعو إلى الإسلام الذي حوى كل الديمقراطية .

كيهان :

ماذا تقولون في المبهورين بالديمقراطية الغربية من أبناء أمتنا ؟

د . عكام :

إن من جملة ماأخشاه أيضاً، أن يكون هناك خلط عند أولئك المبهورين بين الديمقراطية الموسومة برأيي بـ «الديمقراطية السلوكية»، حيث يجدون متسعاً لتلبية رغباتهم وشهواتهم، وبين الديمقراطية المطلوبة للإنسان، حيث يجد الإنسان ذاته عاملاً ساعياً باحثاً جاداً، فأنا أخشى من أن المبهورين يخلطون بين الديمقراطية السلوكية، حيث تنعدم الحركة الإيجابية، مثل (الإباحية) التي تُغطى برداء الديمقراطية، وبين ديمقراطية الإنسان والفكر والتعبير .

وقد عَبَّرت عن الديمقراطية بالنص وبالواقع، وحياة الرسول ﷺ مليئة بالنماذج والوقائع، وعندما نبحث في سيرة أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص، نجد - وليعذرني أهل البيت الكرام عليهم سلام الله، حينما أتحدث عن ديمقراطية أصّلوها - أنهم قدموا مايعبر عن الديمقراطية، أو السعي الجاد لحرية الإنسان، وقيمة الإنسان، واسألوا حياتهم ووقائعهم عليهم السلام .

كيهان :

عمانشاهده من عدم وجود معايير صحيحة في ممارسة الديمقراطية في الدول الغربية، نرى أن هذا الغرب يحاول فرض وصاية علينا بمبادئ لاتنسجم مع مبادئنا .

فضلاً عن أنها تتطاول على مقدساتنا، كما حصل عندما تطاول القضاء الألماني على شخصية قائد الثورة الإسلامية حفظه الله، ماذا تقولون في هذا المجال ؟

د . عكام :

يؤسفنا أن تُدّعى الديمقراطية، ثم بعد ذلك تُرى مخالفةٌ صارخة لها في مواقف الغرب معنا .

ويؤسفنا أيضاً أن بعضاً من بني جلدتنا وأبناء ديننا، والذين عبرنا عنهم بالمبهورين، عندما قصّروا في الانتساب والولاء والتطبيق لهذا الدين، وصدرت عنهم تصرفات لايقرها الإسلام، كانت هذه التصرفات فرصة، وكان الأمر صيداً ثميناًبالنسبة إلى الغرب، من أجل أن ينسبوا أفعالهم، التي هي في الأصل ليست من الإسلام، أن ينسبوها للإسلام، باعتبار أن الفاعلين على سبيل الشكل مسلمون، وليس على سبيل المضمون والحقيقة.

أنا أقول: إذا كانت القضية صراعاً فالغرب الآن يريد، كما قلت، أن يقضي على تحركنا الإيجابي، وقد استشعرَ أننا نقدم للإنسان دعوة خيرة.

والأمر الثاني: إن بعضاً من بني جلدتنا يساهمون في تكريس هذه النظرة لأنهم ينسبون للإسلام ما ليس منه، من خلال أفعال تقوم أحياناً على العصبية، أوالمعاداة، ومع الأسف الشديد تقوم أحياناً على التكفير، هذا الواقع المنغلق عن الدين في بعضه، والمبتعد عنه في البعض الآخر، يساهم في تقديم برهان ودليل من أجل اتهام الغربيين لنا على عدم قدرتنا العيش بديمقراطية، ونحن لانقول للغرب هاقد بدرت منكم واحدة من خلال اتهام القضاء الألماني لقائد الثورة الإسلامية في إيران، لأن أخطاءهم كثيرة، لكن يؤسفنا أن تعبروا في لحظة عن عدم تمسككم بما تقولون، وبما تريدون أن تتصيدوا به.

كيهان:

تبذل إيران جهوداً كبيرة من أجل تحقيق الوحدة الإسلامية، لرصّ الصف وتقريب المذاهب، لكن هناك بعض المواقف مع الأسف تسير بالاتجاه المعاكس، كاتهام البعض إيران بأنها دولة مذهبية، فهل إن الثورة في إيران هي ثورة مذهبية؟ وهل هي تسعى لفرض مذهب معين دون مناصرة الإتجاه الإسلامي العام، فهل من تعليق في هذا المجال؟

د. عكام:

أيُّ اتهام، من أجل تثبيته أونفيه، يحتاج إلى قناتين:

١ـ قناة المقول، أوالمكتوب، أوالتعبير، وأنا من خلال ماقرأته عن الثورة الإيرانية، ولحد الآن، لم أجد في تعبيرات المسؤولين ما يمكن أن يشير إلى ماذكرتموه، مثل

«التفريق».

قرأت تصريحات كثيرة للإمام الخميني رضي الله عنه، وكل هذه التصريحات كانت تعبر عن الوحدة المنشودة بين كل المسلمين.

إذن نقول لمن يتهم هذه الجمهورية بالتعصب: من أين أخذتم دليلاً على الإتهام؟

لأن الدليل يكون إما من القول، أو السلوك، فالقول لايدعم الاتهام، لأننا نجد القول يخالف الذي يقولونه.

أما القناة الفعلية السلوكية، فإني وفي عام / ١٩٨٤/ دُعيت إلى مؤتمر في طهران، وكان هذا المؤتمر حول الوحدة الإسلامية، وسمعت من الحاضرين على اختلاف توجهاتهم كلاماً طيباً وخيِّراً حول ضرورة الوحدة.

ثم بعد ذلك زرت أماكن عدة، وكان التوجه العام من قبل الدولة والمسؤولين وقائد الثورة الإسلامية آنذاك الإمام الخميني رحمه الله، ورئيس الجمهورية آنذاك الرئيس علي الخامنئي حفظه الله، أن وجدت حرصاً على الوحدة ودعماً لها.

وما هذه المؤتمرات التي تُعقد في إيران إلا تعبيرات عن إرادة الوحدة بين المسلمين، ولذا لايمكنني اتهام إيران.

وربما يكون الاتهام قد استند إلى أوهام وظنون، ولكنني لاأستطيع تأكيد ذلك الاتهام في كل حال من الأحوال، والمهم أننا مطالبون بالبينة الواضحة، ولابينة للذين يتهمون إيران بالمذهبية.

لعل أولئك الذين يتحدثون مثل هذه الأحاديث، ويقولون أن الجمهورية الإسلامية في إيران ربما استمرت لو أنها نادت بالإسلام من دون مذهبية معينة، لم يكونوا فاعلين في هذا الكلام وإنما منفعلين، والأصل على الداعية أن يكون فاعلاً. هم يخافون من أن يُتهموا بأمر كان ذميماً في الماضي. لأنه أُشبع بالتصورات والتعريفات والحدود المرعبة، ولذلك هم منفعلون، ينظرون للناس من حولهم ماذا يريدون أن أقول: إذن أقول مايريده هؤلاء.

هم أضعف من أن يكونوا موجهين فاعلين، والمفروض أن يوجهوا الناس من أجل أن يتلمسوا أحكامهم عبر القنوات العقلية الصحيحة، فلماذا مثلاً نمتدح بعض الدول الغربية، ونتكلم بملء أفواهنا عن بعض التصرفات لدى بعض الدول الغربية، ثم إذا ما أردنا أن نتكلم عن دولة إسلامية تتمذهب

بغير المذهب الفقهي الذي نتمذهب به نخاف؟!

لأننا، كما قلت، نريد أن نرضي أشخاصاً لايعرفون عن هذه الدولة الإسلامية، وعن هذا المذهب شيئاً سوى ما ورثوه من عداوات لاتمت إلى الحقيقة بصلة، فهؤلاء للأسف منفعلون وليسوا فاعلين.

لأننا مأمورون أن نكون موضوعيين: ﴿اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ الأحزاب/٧٠.

ولأننا مأمورون أن نتبين: ﴿إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا﴾ الحجرات/٦.

ولأننا مأمورون أن نتعرف على الأشياء كما هي، ولأننا مأمورون أن نرعى حرمة المسلم ولانذكره إلا بالشكل الخيِّر الصحيح، فنحن إذا قامت دولة ليست مسلمة. وتلاحمت معنا في نظرتها للقضية الفلسطينية فربما مجّدنا ومدحنا.

يا أخي: هذه الجمهورية إسلامية، تقول: القرآن كتاب الله، وتنادي بالدستور الذي يُؤخذ من هذا الكتاب، ثم ترفع شعار ضرورة حاكمية الإسلام على الإنسان، فما الذي تقوله لربك يوم القيامة أيها الإنسان الذي تتهم هذه الجمهورية بأنها لاتدعو إلى الإسلام؟

ثم أخيراً، إما أن يكون أصحاب الاتهام منفعلين لأنهم ضعاف، أوربما أيضاً، من يدري؟ مسوقون بدافع التقليد الغربي، أوبدافع التأثر بما تردده أبواق الغرب، باعتبار أن الغرب ما كان يتوقع أن تُكتب على خارطة، أو على جزء من العالم كلمة «جمهورية إسلامية».

ولقد أراد الغرب أن يكون الإسلام حبيساً، وقضية سلمان رشدي، حينما أفتى الإمام رحمه الله بهدر دمه، لم يكن في تلك الفتوى خارجاً عن الإسلام، وإنما كان فعلاً باحثاً بحجة من موقف الإسلام الصريح حيال مثل هذا الشخص المرتد، وهذا معروفٌ في إسلامنا بقضية هدر الدم من قبل ولي الأمر.

فإذا كان الإمام الخميني ولي أمر المسلمين في الجمهورية الإسلامية، ويبحث عما يدعم المسلمين، فعليه إذن أن يحدد موقفاً مأخوذاً من شريعة الله عز وجل حيال هذا المجرم المرتد.

وموقف الإسلام أن مثل هذا الشخص الذي استهزأ بكتاب الله ونبي الإسلام ﷺ وبنساء النبي، فمن الحق أن يُهدر دمه، لأنه اعتدى على معتقدات أمة، وهذه القضية

أصبحت معروفة .

كيهان :

إن المسألة هي أن بعض الاجتهادات وقفت إلى جانب الغرب بدلاً من أن تدعم حكم الإسلام ؟

د . عكام :

أخاطب جميع المسلمين وجميع الناس وأقول : كن واثقاً موثِّقاً ، وفي أضعف الإيمان إن لم تكن على علم بهذا الأمر فاسكت ، وقدقال ﷺ :[على مثل الشمس فاشهدْ ، وإلا فدعْ]. فإن كنت ناقلاً فالصحة ، أومدعياً فالدليل .

فيا أيها الناس ، المسلمون بشكل خاص :

أقول لكم جميعاً : لنتمسك بعقولنا ، وأن نتحدث عندما نعلم بالشيء فقط ، وإذا لم نكن نعلم فلنردَّ الأمر إلى أربابه ، والله عز وجل يقول : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾ النمل/٤٣ .

وإن كنتم تعلمون فأجيبوا ، ودبننا ينادينا بضرورة الكلام عندما نعلم ، وأعتقد أن هناك خطراً كبيراً ينتظر أولئك الذين يتكلمون من دون دليل ، ويتحدثون بما لايعلمون ، ويكفرون بما لا يملكون من أدلة ، فمسؤولية الكلمة كبيرة وسنُسأل يوم القيامة عما نقول .

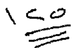


حوار مجلة البلاد

مجلة البلاد. بيروت.

العدد: /٣٣١ ـ ٣٣٢/. تاريخ: ١٢/٤/١٩٩٧.

أجرى الحوار: أحمد مظهر سعدو





البلاد :

قام مؤخراً فضيلة الدكتور الشيخ محمود عكام أحد أبرز الدعاة الإسلاميين في سوريا، وصاحب أطروحات جادة في تفعيل دور المسلمين في عصرنا المتسارع، بجولة في الولايات المتحدة الأمريكية، استغرقت ثلاثة أسابيع، قضاها محاضراً ومحاوراً في ولايتي «أوهايو» و«ميتشيغان»، حيث ألقى عدة محاضرات قل مثيلها في المستوى الفكري والعلمي في قاعة منتدى «الفكر والثقافة» في مدينة ديترويت، وفي مركز الـICI، ومن هذه المحاضرات :

محاضرة : «جدلية الفقه والحياة».

ومحاضرة «قواعد قراءة النص الإسلامي».

ومحاضرة : «الكرامة بين الإسلام وإعلان حقوق الإنسان».

ومحاضرة : «رؤية أولية لتفعيل دور الإسلام في الغرب».

وعلى هامش هذه المحاضرة كان لنا مع فضيلته اللقاء التالي :

البلاد :

الإسلام بشكل عام في ضعف، وهو حالياً لا يملك وسيلة الخطاب الجماعي للمجتمعات الغربية، ونقصد بذلك وسائل الإعلام، كما أشرتم إلى ذلك، فكيف تكون البدايات للدعوة الإسلامية ؟ وكيف يبدأ الفرد المسلم بالدعوة إلى دين الله ؟

د . عكام :

إن البداية، في رأيي، تكون من خلال أولئك المسلمين الذين يعيشون في الغرب، فعليهم أن يشكلوا نواة لمجتمعات يُدعى

إن من يعيش في الغرب لايعيش في «دار حرب» وإنما في «دار دعوة»، وعلينا أن نمارس هذه الدعوة

ويشار إليها، أي عليهم أن يكونوا نماذج مقنعة من خلال سلوكهم، وأن يشكلوا من خلال اجتماعهم ولقائهم واقعاً داعماً.

حتى إذا مارأى الغرب هذا الفرد، وهذه الجماعة، اقتنع بجدوى الإسلام ونجاعته، إذ يبني الفرد ويبني الجماعة.

ثم بعد ذلك يمكننا أن نقدم لهؤلاء هذا الإسلام عبر وسيلة نمتلكها، قد لانستطيع حالياً أن نمتلك قناة بث، ولكن يمكن أن نمتلك كتاباً نقدمه، أوشريطاً مسجلاً على الفيديو، نقدم هذا بعد أن صممنا على تقديم أنفسنا واقعاً داعماً، فأحوالنا تصدِّق مقولاتنا عبر الكتاب، أوعبر الشريط، أوأية وسيلة أخرى.

البلاد:

كيف يمكن لنا في الغرب طرح مفاهيم التعايش تحت إطار ما سمّاه الفقهاء: «دار الحرب» و«دار الإسلام»؟

د. عكام:

نحن الآن في غنى عن طرح مثل هذه العبارات والمصطلحات الفقهية، فهذه المصطلحات يملك تحديدها ولي الأمر حال الحرب، أما نحن الآن فقد أخذنا إشارة (فيزا) الدخول إلى بلد نعيش فيه، فلا أعتقد أن هناك جدوى في البحث عن«دار الحرب» و«دار الإسلام».

على أن الأمر ليس محدداً من قِبل الفقهاء بأن الدنيا تقسم بالضرورة إلى «دارِ حرب»، وإلى «دار إسلام»، بل القضية مفتوحة للاجتهاد، أنا أسمي الآن وضع من يعيش في الغرب أنه في«دار دعوة»، وليس في«دار حرب»، أو«دار إسلام»، فكما سُمِّيت الأمة التي أسلمت «أمة الإسلام»، وبقية الأمم «أمم الدعوة»، فإن من يعيش في الغرب يعيش في «دار دعوة»، وعلينا أن نمارس هذه الدعوة، لأننا إن قلنا إننا في «دار حرب» فلسنا قادرين على ممارسة الحرب، وإن قلنا إننا في دار

إسلام فمعنى ذلك أننا نرضى بكل القوانين التي تحكم هذه البلاد التي نحن فيها!

إذن: بلاد الغرب هي «دار دعوة» إلى الخير والإسلام، «دار دعوة» إلى الله عزوجل.

البلاد:

الغربي في كثير من الأحيان يجد فجوة بين ما ندعوا إليه، وهوفي حد ذاته مقنع، وبين ماهوموجود في الواقع الإسلامي، وهوفي حد ذاته منفر، فكيف نتجاوز هذا الإشكال على مستوى الحوار النظري؟

د. عكام:

يمكننا أن نقول لهذا الغربي: إنه لأمر طبيعي أن يكون هناك فجوة بين المقول والمفعول، ولئن اتسعت هذه الفجوة، وهذا الأمر غير طبيعي، فلأننا اليوم نعيش في عالم اتسعت الهوة فيه، بشكل عام، بين ما يُقال وبين ما يُفعل، ونحن من ضمن هذا العالم، وبالتالي ينبغي ألا نُسقط هذا العيب علينا فقط.

على كلٍّ، إن أول درجات الخروج من هذه الوهدة أن نقدم أنفسنا صادقين في هذا الذي ندعو إليه، وأصحابَ إرادة من أجل أن نفعل هذا الذي نقوله وندعو إليه، فيبتدأ الأمر بنا ثم يتسلسل إلى غيرنا، وغيرنا يعتمد علينا، فأُسَرنا القريبة منا تعتمد علينا، إنْ كنا على المستوى فهي التي تتأثر وتؤثر، وإلا فلا.

وهكذا علينا ألا نكون في حالة حصار نستشعره في داخلنا لأن الهوة كبيرة، ذلك أن العالم كله يعيش هذا الانزياح بين المقول والمفعول.

البلاد:

ماهي حدود المجاملة المسموحة في السياق الدعوي؟ وهل نستطيع أن نجوِّز صيغة مرحلية للمجاملة، ريثما نتمكن من شد الغرب نحوالإسلام، أم أن هذه ميكيافيلية مرفوضة؟

د. عكام:

أعتقد أن تطبيق الشرع بحد ذاته يحتوي المجاملة المطلوبة، وقد قلتُ عبارةً، ولا زلت أرددها: مراعاة الله تشمل مراعاة الناس، ولكن مراعاة الناس لا تشمل الله ﴿وتخشى الناس والله أحق بأن تخشاه﴾ الأحزاب/٣٧.

فالإسلام إذاً يحوي هذه المجاملة المقبولة، وهي من الأمور الإنسانية، فأنا أعيش بقانونين:

الأول: ينظمني في ذاتي.

والثاني: ينظمني في علاقتي مع الآخرين.

وهذه العلائق مع الآخرين هي التي نسميها بالمجاملة، أو الملاطفة، وقد احتواها الإسلام، ونظّمها، و«أتكيت» الدعوة في الإسلام يحوّل المجاملة التي نتخوف منها، إلى تشريعات نقوم بها ونحن نستشعر أننا نقوم بإرضاء الله عزوجل، فالمجاملات من جملة التشريع وليست أمراً زائداً عليه.

البلاد:

لقد عشتَ فضيلة الدكتور فترة في الغرب، والمشكلة هي ترجمة هذه الأصول الفكرية إلى واقع نموذجي معاش.

فما هو رأيك حول تحويل هذه الأمور النظرية إلى مادة عملية مقنعة لنا وللآخرين.

د. عكام:

عندما كنت في الغرب عشت من خلال ذاتي، وقدمت ذاتي على أني فرد مقنع لغيري، فاقتنع كثير ممن كان معي، فقلت يوماً لبعض صحبي: لو أن عدداً كان مثلي لأثَّرنا تأثيراً مضاعفاً، ولأصبحنا متوالية هندسية، ولشكلنا نواة قوية تقنع وتجذب.

وهذا ما عبّرت عنه بـ «التمسك والتماسك»؛ تمسُّك بهذه الأصول الفكرية التي أشار إليها السائل الكريم، وتماسك فيما بيننا لنشكل واقعاً داعماً لهذه الأصول التي ندعو إليها.

وتَبْرزُ قيمة التماسك في مثال قدمه أحد المفكرين المسلمين، وهو سعيد النورسي رحمه الله حيث قال: إن أربعة واحدات - جمع واحد - إذا لم تكن متماسكة فيما بينها، كانت قيمتها أربعة، ولكنها إن حققت التماسك فيما بينها، تحولت قيمتها إلى ألف ومئة وإحدى عشرة.

ونحن كذلك، إن كنا متفرقين غير متماسكين سهلَ على الآخرين أن يدخلوا بيننا ليرفضونا.

البلاد:

ماهي عناصر ودواعي الخمول عند الفرد

يوم نعرف ونتعلم الإسلام سيكون هذا العلم داعياً للنشاط والحركة، لأن الجهل، وهو داعي الخمول، قد انتفى وزال، فالعلم قوة متفجرة تدعوك لنشره وتبيانه

المسلم، خاصة ذلك المقيم في الغرب من ناحية مهمته الدعوية ؟

د . عكام :

أهم عناصر الخمول :

أولاً : الاستكانة إلى الحياة الظاهرة :

﴿ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ طه/ ١٣١ .

فيسأل الواحد نفسه أسئلة وهمية ليقول لها : هاهم الناس يأكلون ويمشون ولا يشعرون بنا، فهل من المعقول أن يأتي يوم من أجل أن ندعوهم إلى الإسلام، وهم الآن في غنى عنا!

ولو أننا فكرنا في المرجع والمآل والنهاية، وأننا سنقف أمام الله عزوجل، وأننا سنُسأل عن مسؤوليتنا الملقاة على عواتقنا، عن الوقت، والفكر، والعمل، لنشطنا ولرفضنا أي خمول يمكن أن ينتابنا .

كثير من أبناء جلدتنا عندما ذهبوا إلى الغرب افتتنوا ببعض الأشياء أولاً، فوقعوا في الخمول ثانياً، ثم تحول ذلك، للأسف، إلى ابتعاد سحيق عميق .

ثانياً : عدم معرفتنا بالإسلام :

فالعلم محرِّك، والجهل مثبِّط، ويوم نعرف ونتعلم الإسلام سيكون هذا العلم داعياً من دواعي النشاط والحركة، لأن الجهل، وهو داعي الخمول، قد انتفى وزال، فالعلم قوة متفجرة تدعوك لنشره وتبيانه .

البلاد :

لقد تغيرت الرؤى الاستشراقية المطروحة على الساحة، هناك أطروحات تقدم للغرب الآن على أنها إسلامية محضة، يقدمها مسلمون منا، أركون والجابري مثلاً، ولقد كانت لكم دراسة حول قراءة في فكر الجابري، وكنتم على

مقربة من الدكتور محمد أركون، إذ أشرف عليكم في مرحلة الدكتوراه.

فما رأيكم في أطروحاتهم.

د. عكام:

أنا أفرّق بين نوعين من الطروحات:

النوع الأول: طروحات نظرية لاتقوم على جذر إيماني في داخلنا، وإنما تكون طروحات ظاهرية، تدرس الإسلام في حركته الظاهرية، من دون أن تستند هذه الظواهر إلى الجذور الحقيقية الإيمانية، وقد قلت هذا الكلام أكثر من مرة لأركون. قلت:

إن طروحاتنا من أجل أن تكون مقبولة عند الغرب، يجب أن تقوم على وعي، وإذا أردنا أن نكون واعين فلا بد من أن يعني الوعي الأمور التالية:

عمل يقوم على علم.

وعلم يقوم على إيمان.

وشرط العمل: الشمول، والتكامل، مع الرسالية التي هي التأثير والإنتاج.

وشرط العلم: التحقق والتثبّت والتوثق.

وشرط الإيمان: القناعة دون تقليد، والإخلاص لله عزوجل.

من هنا أقول: إن الإسلام اليوم يجب ألا يُقدم من خلال مستوى واحد فقط، وإنما من خلال كل المستويات، فأنت حينما تريد أن تقدم اليوم للناس أمراً متكاملاً، كسيارة على سبيل المثال، فلا يمكن أن تقدمها من خلال صورتها فقط، وإنما عليك أن تقدمها من خلال محركها، ومقودها، وفرشها، وإن قدمتها من خلال صورة واحدة لم تكن بالشكل الذي يقنع الآخرين بمهمتها، لأنها يفترض أن تقاد، وأن تمشي، وأن تحمل، وأنت تقدم صورة واحدة لا يمكن أن تقوم بهذه الوظائف كافة!

البلاد:

ماهي الخطوات العملية الأخرى في مجال دعوة الغربي للإسلام؟

د. عكام:

يُقال: إن العلم يتجلى في السؤال أكثر مما يتجلى في الجواب، وهناك أسئلة عامة تُعرض على الإنسان، وعلينا أن نمتلك ناصية هذه الأسئلة: أين مبتدؤه؟ أين منتهاه؟ هل فكّر فيما بعد الموت؟

إن أحسنَّا سؤال الغربي هذه الأسئلة من خلال ثوابت الإنسان، ومن خلال أصوله وطبيعته، فسوف يبحث عن جواب.

وطبيعي جداً أن نكون حينما سألناه هذه الأسئلة قد هيأنا الأجوبة من خلال ديننا وإسلامنا، فالإسلام يدفع الإنسان من أجل أن يفكر، ويسأل، ثم يُقال له بعد السؤال:

هاهوالجواب في القرآن الكريم، وفي الإسلام الحنيف.

يجب علينا أن نعرف كيف نَسأل، فنحن قد نحسن الإجابة، لكننا لا نحسن السؤال، ونحن نسأل من أجل أن نحوِّل هؤلاء الذين تولّد عندهم حب التعرف على الجواب إلى هذا الإسلام، لأن هذه الأسئلة التي نطرحها لن تكون أجوبتها إلا في الإسلام، والله أعلم.

البلاد:

نلحظ اختلالاً في التوازن القيمي، واختلاطاً في القيم الآن في العالم.

هل تعتقدون أن المسلمين في الغرب يمكن أن يسهموا في إعادة هذا التوازن القيمي للعالم؟

د. عكام:

طبعاً، لكن شريطة أن يتعرفوا على طبيعة القيم، وأن يفرقوا بينها وبين العادات، فخرق هذه الأخيرة لا يؤثر ولا يضير، والقرآن الكريم يحوي التقسيم الواقعي الصحيح بين القيم والعادات، ولا يمكن أن نجد إنساناً في كل العالم يرفض القيم حينما تكون قيماً.

ولقد كنت في فرنسا وكنت أقول لهم: أيكم يرفض الصدق؟ الصدق قيمة عليا لا يمكن أن ترفض، أيكم يرفض العلم؟ أيكم يرفض الخير؟

سألت أحد المسؤولين الكبار هناك: هل تريد أن أنسبك بعد أن تموت إلى فرعون، أم إلى موسى؟ فقال: بالطبع إلى موسى.

أقول: لأن فرعون يحمل قيماً سلبية، أما موسى عليه السلام فيحمل قيماً إيجابيةً.

فإذا ما أردنا أن نعيد التوازن، فعلينا أن نحدد القيم الأساسية الثابتة بالنسبة إلى الإنسان.

وأن نبين أثرها في التاريخ، من خلال وقائعه الصحيحة.

وأن نبين أثرها من خلال رجالاته.

عند ذلك سنقدم للناس منطقاً وواقعاً،

والإنسان دائماً يقتنع من خلال المنطق، ويطمئن من خلال الواقع، وعندئذ سنكون على مستوى المسؤولية في العالم كله.

حوار مجلة العالم ٢

مجلة العالم. لندن.

العدد: /٣٥٦ ـ ٣٥٧/. تاريخ: ١٥ ـ ٢٧/نيسان/١٩٩٠

أجرى الحوار: وحيد تاجا



العالم :

ما المقصود بالفكر الإسلامي ؟

د . عكام :

الفكر الإسلامي : هو الحركة العقلية التي تناولت النص القرآني ، وحامت حوله ، فوردَته ، وصدرت عنه .

وعلى هذا ، فالنتاج كله يدخل ضمن الفكر الإسلامي ، إلا أن التقسيمات تنتابه بحسب المجال والتخصصات ، فإن تناولت الحركةُ العقلية آيات الآحكام وأحاديثها المبيِّنة كان الفقه ، وإن انصبت على نصوص أركان الإيمان كانت العقيدة ، وهكذا .

وللفكر بشكل عام قواعد ومناهج ، لكنه بالنسبة إلى التفكير يعني الحصيلة والنتيجة .

والتفكير بالنسبة إلى التفكّر يعني المتابعة وفق نتيجة التفكر ، الذي يعني - هذا الأخير - المحاولة الجادة ، ليصل صاحبها إلى النهاية ، أو المعادلة الصحيحة :

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك ﴾ آل عمران/ ١٩٠ .

فها هي المحاولة أنتجت : ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾ فكانت مادة للتفكير ، الذي يؤدي إلى تحديد ملامح الفكر النِّتاج ، وهو قيامه على ضرورة الأخذ عن الله دون سواه ، واستكشاف ما في نصه الثابت النسبة إليه ، من قواعد سلوكية ، ومعالم تصورية .

العالم :

هل من صلة بين الفكر الإسلامي والبحث

العلمي ؟ إذا كان الجواب: نعم. فما هي مقومات البحث العلمي في هذا الفكر؟

د. عكام:

إذا كان الفكر الإسلامي حركة عقلية مفتوحة، وجهداً معرفياً متواصلاً، حيال مفهوم نصي مقدس، ثبتت قدسيته لكونه من الله تعالى، بإقرار العقل الذي عجز عن أن يأتي بمثله، وقد حاول، وتسليم الناس المعاصرين بصدق الناقل وأمانته، إذ تعرّض لأصعب الامتحانات على مستوى العلوم التجريبية والاجتماعية والنفسية وغيرها؛ فاجتازها بنجاح، ولا تزال النجاحات تتوالى يوماً بعد يوم، مواكبةً اكتشافات الإنسان لذاته، ولغيره، وللكون الذي حوله، كل ذلك تحت عنوان جاء آية في كتاب الله عزوجل: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ فصلت/ ٥٣.

هذا الفكر الذي ذكرنا، يمتلك مقومات البحث العلمي، إن لم نقل إنه يؤصلها.

هذه المقومات بلغة عصرنا هي:

١- «المفهوم» أو «المصطلح».

٢- و«المنهج».

٣- و«الأسلوب».

وأي فكر لا يحويها يكاد يسمى لغواً، وتتفاوت الأفكار قوةً، بقوة هذه المقومات، أوضعفها.

والفكر الإسلامي:

١- له مفاهيمه المستقاة من النص الحاكم، أوشرحه المسمى بالسنة النبوية.

ويمثّلُ المفهومَ القرآنُ الكريم، وكتب الحديث الصحيحة من حيث الرواية.

والمفاهيم هذه في دلالاتها تختلف بين قطعية لا تحتمل إلا المعنى الذي له وضعت، وظنية لها عدة معانٍ محتملة، وتشكل الأخيرة لنسبة العظمى، وهي التي تدلل على ثراء الفقه المستنبط، وإمكانية استيعابه للمستجدات.

٢- وللفكر الإسلامي أيضاً منهجه الذي يمثله علم «أصول الفقه»، إذ يُعنى بالقواعد العامة الضابطة لاستخراج المعاني من المفاهيم والمصطلحات، و كيفية التعامل معها، وربطها بغيرها لتشكل نسقاً معرفياً لا تباين فيه و لا اختلاف، وذلك بوسائل اللغة، والمنطق، وحاكمية النتائج على المقدمات، وتحديد المصالح العامة، والضروريات الأساسية.

لانريد أن نقيل عقلنا اليوم بحجة أن عقل من سبقنا قد اشتغل لنا، وأنتج مايكفينا

٣ـ وأما الأسلوب، الذي يشكل المقوّم الثالث للبحث العلمي، فهوفي الفكر الإسلامي معتَمد أيما اعتماد، إذ إن هناك علوماً خُصصت له كعلم التجويد، وكيفية نطق القرآن الكريم و لفظه، وعلم القراءات، والأوجه المتعددة للكلمات، من حيث تقلبها في القوالب الكلامية المترادفة، وعلم الحديث الذي يتوجه إلى الإسناد، وحال الراوي الناقل.

وعلى كلٍّ، فوجود هذه المقومات، واحتواؤها من قبل الفكر الإسلامي بشكل مدقق ومفصّل وموضّح ومصنّف؛ دليل بيّن على أنّ هذا الفكر فكر إنساني، محوره كلام مقدّس، صدر حقاً وصدقاً عن الخالق، بإثبات العقل وبرهانه وتمحيصه.

ويمكننا القول أخيراً: إنّ أي فكر لا يمتلك مقومات البحث العلمي فكرٌ مدَّع، وإنْ رسم له عنواناً في عالم الأفكار.

العالم:

كيف تقيّمون تجديد الفكر الإسلامي ؟ وما المقصود به ؟

د. عكام:

أما التجديد فمصطلح لطيف يتجلى بإعادة المباشرة مع النص، وفق قواعد الحركة العقلية الإنسانية، ما كان منها ثابتاً، أومتغيراً، بحسب ظروف المجدِّد، الزمانية والمكانية.

ولانريد أن نقيل عقلنا اليوم بحجة أن عقل من سبقنا قد اشتغل لنا وأنتج ما يكفينا، بل علينا أن نفعّل عقولنا لتقوم بنفس دور السابقين، وعلى هذا الأساس، فتقبل الثابت ثابتاً بعقل وجِدٍّ، وتنتج المتغير بحسب المعطيات الراهنة والحالّة.

واللاتجديد يعني: الفصل بيننا وبين نصنا بفهوم سابقة تحلُّ محل النص، إذ النص

الأصلي نبّاع وثري وغني، وأما الفهم المستقى منه فلا يعدو أن يكون إشعاعاً من شمس تحوي الملايين.

التجديد: أن نجدد كل ما ران على تراثنا ونزيله، ليكون انعكاساً صادقاً عن النص في العصر الذي أنت فيه، وكأني بعصرك مرآة، وعليك أن تقف أمامها دون سواها، لترى ظلاً ومنعكساً للنص الإلهي، وهو القرآن الكريم.

هناك كثيرون لايقفون أمام عصورهم. بل يسحبون أنفسهم من واقعهم إلى عصر سابق، ويقفون وراء غيرهم، فلا يظهرون، ويحسبون أنهم، بهذا التواري، ظاهرون.

وأحب أن أؤكد على أن هناك فرقاً بين مجدد تائه ومجدد واعٍ. فالأول لانص له، والثاني متوفر على نصه النبّاع الذي لاينضب: [لا يخلق على كثرة الرد]، كما ورد عن النبي ﷺ.

والمجدد الواعي هذا، من لايتجاوز عقلَه إلى هواه ونزواته، وإنما يلتزم القواعد الاستنباطية القائمة على اللغة ومنطقها، والسياق الشرعي القرآني، وإطاره الفهمي العام، والمناسبة الجادة للإنسان المسلم، الذي لا يمكن للإنسان بشكل عام إلا أن يكونه، إذا فكر وأحسن محاولات التفكر والتفكير ﴿ فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ البقرة/ ١٣٢.

العالم:

ما منهج التجديد الذي ترونه؟ وما ملامحه؟

د. عكام:

منهج التجديد يقوم على ثلاثة محاور: عقل ونص وأدوات.

أما العقل:

فأول شروطه، ليكون في ذلك التجديد مساهماً: «الحرية»، وأعني بها انطلاقة ذاتية غير متأثرة بمنفعة شخصية، أوهوى متّبع، أوفكرة سابقة مسيطرة.

وأما النص:

فشرطه المناسبة والمواءمة للإنسان كله، داخله وخارجه، ظاهره وباطنه، وكلنا يدرك أن الإنسان، من حيثية تقريبية، كالآلة التي تحتاج إلى دليل يبين تركيبها وطريقة عملها وتشغيلها، وهذا الدليل من فعل صانع الآلة، وكذلك الإنسان، ومن باب أولى، لابد له من دليل يجد فيه تركيبته ووصفه ووظيفته، وهذا

الاقتصار على أدوات ماضية يُفقد التجديد بعض مصداقيته، واعتماد الأدوات المستجدة فقط يجعل التجديد قطيعة مع النص

لايتأتى إلا إذا كان من صانعه، فلنبحث عن صانعنا، وقد بحثنا، فكان الله جل وعلا، ودليله إلينا كتابه القرآن الكريم، فإن كان هناك شك في الصانع، أوفي الدليل، من حيث الثبوت والنقل، فليقدّم كلٌّ ما عنده، وبيننا وبينه الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن.

وأما الأدوات:

فيجب استنفار كل ما كان، وماصار لتكون في خدمة النص، تستخدمها الحركة العقلية.

والاقتصار على أدوات ماضية يفقد التجديد بعض مصداقيته، كما أن اعتماد الأدوات المستجدة فقط يجعل التجديد قطيعة مع النص، لأننا لم نعتبره من خلال فعلة السابقين.

وحين نمثّل لهذا نقول: لقد اعتمد أسلافنا أدوات، منها المنطق واللغة والبلاغة، واليوم طلع علينا عالم الاستنباط بأدوات جديدة، منها اللسانيات، والأناسيات، والتحريات الأثرية، والنمطيات، والاجتماعيات، والنفسيات و... فلِم لاتُتقَن من قبلنا، وسائلَ نتفاعل بها مع النص الإلهي لخدمة التشريع، وربما كان بعض هذه الأدوات على حساب أدوات سابقة، وهذا استمرار وليس اعتداء، ولم يكن، وما كان في يوم من الأيام، التكرار مطلوباً، ورضي الله عن عمر ابن الخطاب إذ قال: «تلك على ما قضينا، وهذه على ما نقضي»، والأمر مستمر ومتجدد.

العالم:

أين يقع مفهوم التأصيل ؟

د. عكام:

التأصيل لاينافي التجديد، والتجديد لايعني معاداة التأصيل، لأننا قلنا، وفيما

يخص الفكر الإسلامي، أن هذا الفكر يدور في فلك القرآن نصاً أساساً، والسنة الشريفة تبياناً وتفسيراً لهذا النص.

فالأصالة قائمة في نص لا يتغير من حيث كلماته وآياته، بل هو ثابت ثبوت الوجود المطلق الذي يمدّ الموجودات المقيّدة.

والأصالة ثابتة في إيمان يفرز علاقة بين المخلوق والخالق، تقوم هذه العلاقة على حاكمية الخالق ومحكومية المخلوق، دون أن ينتاب هذا الأمر أدنى تغيّر.

والأصالة مؤكّدة من خلال الارتباط بالسلف، ابتداء من مبلّغ النص وناقله إلينا الرسول ﷺ ارتباط اتباع واقتداء والتزام، واعتباره المعيار الأمثل في التطبيق.

ومتابعةٌ مع من بعده من أئمتنا الأكارم، على أنهم نماذج في التفاعل الجاد مع النص، وليس على أن كلامهم واستنباطهم حلّ محلّ النص، وهذا ما يجب أن نحذر منه ونحذّر.

فالرسول ﷺ مبلّغ وناقل ومبيّن وموضح ومفسر، والأئمة فاهمون مجدّون مجتهدون، يمثّلون بعض ما يمكن أن يكون مفهوماً من النص، ولا يعني هذا أنهم أغلقوا النص المفتوح، واستنفدوا ما فيه من مخزون فقهي، فلا يزال النص هذا غضاً طرياً، يلامس بما فيه من مخزونات كامنة كل العصور، فافتحوا النص ولا تغلقوه، والفيصل صحةٌ في نسبة الفهم إلى النص، وإيمانٌ بحاكمية هذا النص، لأنه من الله العزيز الحميد.

العالم:

هل وقع الفكر الإسلامي في مطب الاستلاب والتغريب ؟

د. عكام:

لاأريد الحديث بطريق الخبر، وإنما أفضّل الكلام بطريق الإنشاء، فأقول:

إذا أردنا لفكرنا المسلم ألا يقع في مطب الاستلاب والتغريب فلنطرح «ثوابت» هذا الفكر التي تحدد أبعاده واستقلاليته، ثم لا علينا بعدها إذا أفاد من الآخرين، فلن يتأثر الجوهر.

وأهم هذه الثوابت:

نص إلهي لايحاد عنه، يشكل المرجعية الفكرية والعلمية لنا.

ورسول مرسل من الله، وعى كلامه فبلغه

كما أنزل عليه، وبيّن أسلوب التعامل معه، فاقتضى هذا ضرورة الاطلاع على حياته ﷺ، ومعرفة ما صح عنه مما يشكل التبيان للمجمل، والتقييد للمطلق، والتوضيح للخفي و. . . ، على مستوى الفعل والقول.

فصلاته العملية تبيان لقول الله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ البقرة/٤٣.

وحجُّه توضيح لقول الله جل شأنه: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ آل عمران/ ٩٧.

وكذلك أقواله في ميدان الأخلاق. المفصّلة لمجمل قول الله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ النحل/ ٩٠، وسواها.

وقد يكون الاتهام بالتغريب جاء نتيجة سلوك المفكر، لا طبيعة فكره، ففكرة الخلط بين الشخص وتصرفاته، وبين فكره، مرض نعاني منه، وللأسف الشديد.

وربما يكون الحديث عن التغريب جُراء بعض الإفادات من تقنيات الأدوات المستحدثة، وهذا بعض ما تفشى في عدد من مساحات مجتمعنا معاداته، وللأسف.

وقد يكون الغرب، كعادة غير الموضوعيين منه، قد روّج لهذا من أجل إشغال المسلمين بالدفاع دون الدعوة، وبالتبرير دون التفكير.

العالم:

هل يمكن الحديث عن مشروع ثقافي إسلامي؟

د. عكام:

ولم لا؟ والمفردات قائمة تنقصها الإرادة الجادة الحازمة الحاسمة والتي تجسّد القضية الضائعة، والعنصرَ المفقود في عالمنا وللأسف:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

فما ذنب القدر، إذا لم يُرد الشعب؟!

لقد عرّفتُ الثقافة فقلتُ: هي تحويل المعطى المعرفي إلى سلوك. والمعطى المعرفي هذا موجود، وهو القرآن الكريم، ولكن مشكلة التحويل تستلزم إرادةً وتكاتفاً وتعاوناً.

لقد قرأت في مجلة «الإكسبريس» الفرنسية منذ أربعة عشر عاماً، أي عام /١٩٨٤/، أن لجنة علمية انبثقت عن البيت الأبيض الأمريكي لدراسة القرآن الكريم

علاقتنا مع الغرب محسومة لصالح «الدعوة» ومن دون تردد

والإفادة مما فيه في مجالات الأخلاق والاقتصاد والسياسة.

ولم تنبثق مثل هذه اللجنة، وبشكل عملي جاد، عن الجامعة العربية، أومنظمة المؤتمر الإسلامي.

واكتفينا بالادعاء المجمل دون الدليل المفصّل، وبالحديث العام العابر دون الحديث الخاص المؤثر، وانقسمنا فحوّلنا الإرادة إلى إرادات، تعمل كل منها لصالح جماعة، أودولة، أوحزب، في مقابلة دولة أخرى، أوحزب آخر مماثل ومتوافق:

أمتي هل لك بين الأمم
منبرٌ للسيف أوالقلم؟

لوجمعنا، بنيَّة الوفاق، كل ما يقال عن الإسلام من قبل المسلمين العقلاء، وغير المسلمين العقلاء، لكان لدينا مذكرة إيضاحية تفضي إلى قانون إسلامي موحّد.

ولكن المشكلة في الإرادة، والسعي الجماعي، والوحدة، تلك الأشياء التي أصبحت خيالاً، أوضرباً من الأسطورة.

العالم:

كيف تنظرون إلى العلاقة مع الغرب ؟

د. عكام:

علاقتنا مع الغرب محسومة لصالح «الدعوة» ومن دون تردد، والدعوة فريضة جماعية وفردية، وتتطلب من الداعي معرفة محققة بما يدعوإليه، وبمن يدعوه، وكيف يدعو.

فإذا كنا نادي بالإسلام العالمي، فالغرب بعضٌ من مجال ومحالٍّ دعوتنا.

فهل عرفناه؟

وهل دعوناه؟

وهل قمنا بالتبليغ الفعلي ؟

تلك أسئلة العلاقة مع الغرب.

لقد قال علماؤنا سابقاً:

إن هناك أمتين:

١ـ أمة الإجابة، وهؤلاء من آمنوا وأسلموا.

٢ـ وأمة الدعوة، وهؤلاء من يجب دعوتهم إلى الإيمان والإسلام بالتي هي أحسن، بعد المنطق المناسب، والمضمون الصحيح.

أما من اعتدى من الأمة الثانية فالدعوة تتحول وتتخذ لبوس الجهاد: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾ الحج/٣٩.

فلنمارس الدعوة، فريضة منظمة مبرمجة، لدين قويم جاء للإنسان، يحمل له سعادة الدنيا وفلاح الآخرة.

العالم:

ما سر زيادة الاهتمام بالفكر الإسلامي في الآونة الآخيرة؟

د. عكام:

زيادة الاهتمام هذه جاءت من اهتمام الإنسان بشكل عام بالفكر، والمسلم بعضٌ من هذا الإنسان.

بالإضافة إلى مضارعة الآخرين الذين راحوا يعرضون فكرهم، وينظمون له مناهج وأساليب.

وليس الاهتمام بالفكر الإسلامي مقصوراً في رأيي على المسلمين. بل غدا سمة لغيرهم أيضاً، إذ سمعوا عنه الكثير، ورأى بعضٌ منهم بأم عينيه، وبعد اطلاع كاف عليه، أن هذا الفكر مرشح لنيل الثقة في العالم كله.

لكننا نعترف أن كثيراً من أهله، أي المسلمين، يقفون عائقاً أمام النجاح، لأنهم ليسوا على مستواه في حركتهم السلوكية، وطموحهم المستقبلي في خدمة الإنسان.

إنّ زيادة الاهتمام ـ أيضاً ـ بضرورة النص، أدى إلى زيادة الاهتمام بالفكر، وقد ألمحنا إلى هذا في سجوف إجابتنا السابقة.



حوار مجلة النورس

مجلة النورس.بيروت.



النورس :

كلنا يعلم أن الإسلام حثّ على طلب العلم، بل جعله فريضة على كل فرد.

فأي فروع العلم قصد بذلك ؟ وهل هو العلم الديني فقط، كما يتصور البعض ؟

د. عكام :

العلم مقترن بالعمل، وهو أساسه وركيزته، وحيثما كان الأمر بالعمل، كان الأمر بالعلم، وإذا كنّا مستخلَفين على الأرض إصلاحاً ورعايةً وقيوميّة، فالعلم الذي يمكّننا من ذلك فرضٌ علينا جميعاً، كالعمل، نتقاسمه اختصاصاً، وننهض به أمراً من الله تعالى، لاتفريق في الوجوب بين اختصاصٍ وآخر.

وليس العلم المفروض محصوراً بمايقوّم العبادات الصّرفة، من صلاة، وزكاة، وحج، وإنما هو عام شامل لكل العمل الإصلاحي العام، في مختلف مجالات الحياة ومستوياتها وصُعُدها.

وعلى هذا؛ فليس هناك علم ديني، وآخر غير ديني، مادام الدين شاملاً تاماً كاملاً، له إشعاعات على كل ما يمكن أن يصدر عن الإنسان، من أجل أن يعمر الأرض، أو يهيئها للإنسان المنشود، فالعلم فريضة على كل مسلم، حيث كانت رسالة المسلم.

النورس :

هل يصيب من يحاول تفسير بعض الظواهر الطبيعية، والحقائق العلمية المكتشفة حديثاً، تفسيراً دينياً اعتماداً على القرآن الكريم والسنة النبوية ؟

وماذا لو أن نظريات جديدة دحضت

النظريات السابقة ؟

د . عكام :

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، ودستور كامل للإنسان، وليس كتاب فيزياء، أوكيمياء، أوتشريح، أوأحياء؛ بالرغم من إشارات متكررة جاءت فيه تتعلق بهذا، لكنها لاتعدو أن تكون أمثلة جيء بها للاستدلال على قدرة الخالق، وتثبيت حاكميته على المخلوق بشكل عام، والإنسان بشكل خاص.

وعلى علماء التجريب الإفادة منها، لتطوير ما وصلوا إليه من نظريات في ميادين علومهم هذه.

ومَثَل القرآن في هذا، ولله المثل الأعلى، مَثَل قانون اجتمع على وضعه علماء القانون والتشريع الفاهمون، لكنهم وهم يضعون المواد، احتاجوا من أجل ترسيخ القوانين، إلى تمثيل مرئي في عالم الزراعة مثلاً، فاستعانوا باختصاصيين فيها، ليكون المثال صحيحاًعلمياً.

وكذلك القرآن الكريم، اعتمد في التوجيه والمخاطبة على أمثلة مرئية ملموسة، قائمة ومستندة إلى سنن موضوعة من قبل الخالق، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تكون مخالفة لمكتشفات العلم، بل على العلم أن يحاول حتى يتطابق في النهاية مع المعطيات القطعية للأمثلة العلمية في القرآن الكريم.

ونريد أن نذكر هنا احترازاً مفاده:

أن من يفسر القرآن تفسيراً علمياً ينبغي ألايطرح تفسيره على أنه المراد حتماً من الآية القرآنية، وإنما يقدمه على أنه محتَمل من محتملات الآية، وحسب ما وصل إليه فهمه، فإن أظهر العلم خطأ تفسيره، بقيت الآية بمعزل عن أن ينسب الخطأ إليها، وحاشاها، فهي لا تقرر قطعاً إلا الصواب، ولكن البشر في اكتشافاتهم متقلبون.

النورس :

لا يزال الكثيرون يحجمون عن استخدام بعض المخترعات الحديثة، كالتلفزيون مثلاً، لكونهم يخلطون بين هذه الوسيلة «الاختراع»، وبين تلك المادة التي تعرض فيها، متناسين أنها يمكن أن تكون، وينبغي أن تكون، أداة للتعبير عنهم، وعن آرائهم، وأفكارهم.

هل الطريقة الصحيحة للتعامل مع الوسائل المذكورة هي مقاطعتها ؟

د. عكام:

لا أعتقد أن هناك كثيرين يفعلون هذا الذي قلتَ، بل هم، في رأيي، قلة قليلة، هذا أولاً.

بعدها، لا بد من القول بأن الإسلام كان صريحاً جداً في التمييز بين الوسيلة والأداة بحد ذاتها، وبين توظيفها واستخدامها، وإن الحكم إنما يدور على الثاني، ولا علاقة له بالأول، لأن متعلقات الأحكام هي أفعال المكلفين.

فالشِّعر من حيث كونه أوزاناً وتقاطيع لا حكم له، ولكن استخدامه في الهجاء والبغاء والفساد، هو الذي يحيله إلى فعلة محرمة ممنوعة، واستخدامه في الفضائل والمكارم والتوجيه إليها، يجعله مشجَّعاً عليه من قبل المصطفى ﷺ بعد القرآن الكريم، فقد قال لحسان بن ثابت: [إيه وروح القدس معك]، [لا يفضض الله فاك].

إذاً، الموقف الصحيح هو الدعوة إلى استخدامها في ما ينفع الإنسان، ويساهم في إيصاله إلى تحقيق الغاية التي وجد من أجلها:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾

الذاريات/ ٥٦.

النورس:

الحديث عن العلم يقودنا إلى الحديث عن العقل، إذ يحاول بعض الفقهاء أن يلغوا دور العقل، أويحجموه في أصغر حيز ممكن، ظناً منهم أنهم يُعلون بذلك من قدر الإيمان المطلق، ما هورأيكم في هذه القضية؟

د. عكام:

لن أسمي ذاك الذي يلغي دور العقل فقيهاً، لأن الإسلام قائم على مخاطبة العقل، واعتباره مناط التكليف، وقد دعا القرآن الكريم الناس كافة، والمسلمين خاصة إلى إعماله حتى أقصى درجاته، وحضّ على حركته، المتجلية بالنظر، والتفكر، والتدبر، والتعلم.

ويسهل على من له أدنى إلمام بآي من الذكر الحكيم، أن يذكر لك كثيراً من الآيات المتعلقة بهذا، فقد وردت كلمة «العقل» بمشتقاتها في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضوعاً.

ووردت مادة «الفكر» في ثماني عشرة آية.

ووردت مادة «العلم» في نحوستمائة آية.

وكلمة «التدبر»، و«الرشد» في ثلاث

وعشرين آية .

وكلمة «القلب» و«الفؤاد»، وهما بمعنى العقل، في ست وأربعين آية .

والرسول ﷺ قال: [قد أفلح من رزق لُبّاً]، وكان كثيراً ما يَسأل عن عقل الرجل، من أجل أن يتعرف عليه، أويُعرِّف به .

حتى الإيمان، إن لم يكن عن عقل واقتناع، رُفض، ودعي المؤمن إلى الإيمان مجدداً على أساسه: ﴿يا أيها الذين آمَنوا آمنوا﴾ النساء/١٣٦ . وأغتنم هذه الفرصة لأدعو المسلمين وغيرهم إلى تأسيس الفكر من خلال العقل والوعي العمليين، وآمل أن نستجيب، ونبدأ الطريق .

النورس :

في عالم يتسم بالصراعات وتتسارع فيه الأحداث والتغيرات، هل يكتفي المسلمون، أفراداً ودولاً، بدور المتفرج الخاسر حتماً، أم أن لكل منا موقفاً ودوراً ؟ وكيف يمكن أن يكون مثل هذا الدور ؟

د . عكام :

دور كلٍ منا في عالمنا اليوم مستمد من مبدئه وعقيدته، وإذا كنا مسلمين فالإسلام دين التطوير، والتغيير نحو الأفضل، لبني الإنسان قاطبة .

وأول ما يجب علينا فعله أن نجلّي حقيقة الإسلام، نظاماً وأحكاماً، في ميادين الحياة كافة، عبر الوسائل الإعلامية المختلفة .

وأن ننتقل، نحن الأفراد، من الإيمان المدّعى إلى الإيمان المحقق، ومن السلوك البعيد إلى السلوك القريب، الذي يتفيأ ظلال الإسلام في نصوصه الأصلية، ليشكّل كل واحد منا دعوة عملية للآخرين، فالناس أحوج ما يكونون إلى نماذج واقعية، منها إلى ادعاءات عريضة، وشعارات واسعة، ويوم نستبدل بالشعارات الفكر البنّاء الواقعي، نكون قد خطونا في طريق الحياة المبتغاة الهادفة .

وأما الدول، فدورها يكمن في البحث الجاد عن السبل التي تلم شعثها، وتجمع شملها .

وعليها أن تجسِّد الدين محوراً أساسياً للالتفاف حوله، وألا تزهد في اعتباره العامل الأقوى في لقائها، وديننا يختلف عن الدين المستبعَد من المحاور اللقائية في الغرب، لما

نحن دعاة إلى الإسلام، ولسنا قضاة على الناس، ولا يهمني إطلاق حكم الكفر على الكافر

لهذا الأخير من واقع تاريخي مرير في علاقته مع العلم والسلطة والسياسة.

والدول الإسلامية، إن التقت على أرض إسلامها، أنبتت فيها حصانةً لثرواتها وطاقاتها وقدراتها الحسية والمعنوية، وقد استُنفدت محاور اللقاء من قبل غيرنا إلا الدين.

وعلينا أن نقدمه محوراً ناجحاً، ونقطة تمركز هامة، وهذا يتوقف على فهمنا له، وحسن تقديرنا إياه، والمهم في الأمر، أن نفكر فيه دون أن نبحث في أثنائه عن تبريرات لتخبطات مختلفة، ستظهرها النهايات الزمنية على حقيقتها، فتكون محاولات للارتباط والتبعية لغرب أولشرق.

النورس:

تشهد بعض المجتمعات الإسلامية خلافات حادة بين أفرادها، تأخذ طابعاً دموياً في كثير من الأحيان، ما هوحكم الشرع في من يكفر المجموع، ويشهر سلاحه في وجوههم، فرداً كان أوجماعة؟

د. عكام:

هنالك قواعد اعتمدتها في هذا الميدان، أودُّ ذكرها، فلعلها تحمل في طياتها الجواب على هذا السؤال:

١ـ نعتمد الظاهر في قبول الإسلام، ونترك الباطن لعليمه.

٢ـ لا نريد أن يُتخذ رأي عالم سابق، أومفكِّر لاحق، حاكماً على بقية الآراء والفهوم المستنبطة.

٣ـ جميع الآراء والاستنباطات، المستمَدة من الكتاب والسنة، عبر وسائل صحيحة عقلاً وشرعاً، مقبولة.

٤ـ نحن دعاة إلى الإسلام، ولسنا قضاة على الناس، ولا يهمني إطلاقُ حكم الكفر على الكافر، وإنما الذي يعنيني أن أدعوه إلى

الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥ـ نسعى إلى رسم المحيط الأوسع للدائرة الإسلامية، وفق أعمِّ المعطيات القرآنية والنبوية، فنحن دعاة استيعاب، ولسنا هواة استبعاد.

النورس:

تصدى كثير من علماء المسلمين في العصور الأولى لمسألة العلاقة بين الفرد والدولة، وبينوا الأحكام الشرعية المتعلقة بهذه القضية، كالطرطوشي الذي يقول: «هرج ساعة شر من ظلم ستين سنة».

لماذا لا يتصدى الفقهاء المعاصرون لمثل هذه القضايا بشكل مركز وشامل؟

د. عكام:

لا أجد لهذا السؤال جواباً أفضل من خطبة أبي بكر الصديق، يوم تولى الخلافة: «أيها الناس إني قد ولِّيت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم».

وهذا يعني أن لكلٍّ من الدولة والأفراد واجبات حيال الآخر:

فالدولة ملزمة بالاحتكام إلى شرع الله في شؤونها، وبالتزام خط الشورى، والعدالة، والمساواة.

والفرد ملزم بالطاعة، فإذا ما رأى انعتاقاً، من قِبَل الدولة، من الدين، علنياً صريحاً، رفضَ الطاعة ودعا إلى الإسلام، دون أن يخاف في الله لومة لائم، مراعياً أخلاق الإسلام في صيانة الدماء وحقنها، وحفظ الأعراض، فلا إثارة، ولا رعب، ولا تخويف.

وأعتقد أن علماءنا، وإن بحثوا في هذا الأمر، إلا أن أبحاثهم لا زالت غامضة إلى حد ما، ولا زال مثل هذا الموضوع يحتاج إلى وضع النقاط عليه بشكل أفضل.

النورس:

من خلال معايشتكم لأوضاع المسلمين في مناطق مختلفة من العالم، كيف ترون مستقبل الإسلام والمسلمين؟ مع الشكر الجزيل

المستقبل للإسلام إن سعى المسلمون إلى إيجاد النموذج المقنع على مستوى الفرد ومستوى الجماعة

لفضيلتكم على تكرمكم بالإجابة على الأسئلة، وجزاكم الله كل خير.

د. عكام:

المستقبل مرهونٌ بالحاضر، يعتمد عليه، ويُرى من خلاله، وحاضر المسلمين يحتاج إلى:

١ـ إيمان محقَّق.

٢ـ وعمل صحيح كامل شامل.

٣ـ ووحدة تقوم على أسس متينة مستمدة من مصادر الدين الحنيف.

وبعبارة أخرى:

المستقبل للإسلام إن سعى المسلمون إلى إيجاد النموذج المقنع على مستوى الفرد ومستوى الجماعة، والإقناع ينبثق من تكامل نظري وعملي، ابتداءً بالمعرفة ونظامها، مروراً بالتقنية وأخلاقها، والحياة وفنها، والروح وأبعادها، وانتهاءً بالدولة الصائنة لحقوق الأفراد، الراعية لشؤون الجماعة وحقوقها.

وعلى المسلمين أن يجهدوا في تقديم مذكرة تفسيرية عالمية اللغة والصلاحية، حتى يمكن استخلاص قانون عام يحكم الإنسان في كل أحواله.

وأهم مميزات هذا القانون:

أن يعكس شخصية الإنسان، زماناً ومكاناً وتطلعاتٍ وأهدافاً وآفاقاً وغيباً.

فالحياة تعاش على مستويين: معنوي ومادي، يوجّه الأولُ الثاني، ومن خلال هذا يبرز الإسلام قادراً على توجيه دفة الحياة بشكل عام.

المستقبل مرهون بالإعداد والتخطيط، فمن فعل هذا ربح، ومن أعرض عن هذا خسر: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ الأنبياء/١٠٥.

أي: القادرون على عمارتها، مَنْ كانوا.

فهل نحن ممن نستشرف هذا؟

آمل، وإن كان الواقع لا يسعفني.

في النهاية:

لا يسعني إلا أن أتقدم بشكري لمجلتكم «النورس» آملاً أن تكون جسراً خيراً، يربط بين مختلف الآراء، لتتكامل ثقافتنا الإسلامية العربية أمام إنساننا في عصرنا الراهن، ومتمنياً لكل طاقمها دوام العطاء والازدهار.

حوار مجلة العالم ٣

حوار حول: الاستشراق.

مجلة العالم. لندن.

العدد: /٥٤٣/. تاريخ: حزيران/١٩٩٦.

أجرى الحوار: وحيد تاجا



د. عكام:

يتّسم الاستشراق بسمة عصره، ويأخذ طابع طبيعته، ويمكن أن يكون الاستغراب كذلك، وليس الانفتاح من جهة ما على جهة أخرى متّهماً دائماً، إذ التعايش يأخذ حيِّزاً احتمالياً أيضاً في تكوين إرادة التعرُّف والدراسة والاطلاع.

لقد أتى حين من الدهر علت فيه راية الشرق ودخلت عالم الغرب، وأسست هناك قواعد وروَّجت أفكاراً، وإن شئت قل «عقائد».

وكان لكلمة «الشرق» و«الشرقيين» جرس خاص، ودلالات دقيقة ذات أبعاد مختلفة الألوان، إذا كانت الألوان رمزاً يعبر عن حالات الإنسان النفسية ومستويات القبول والرفض عنده.

فمن الأبعاد ما كان أسود شديد الرفض، لأن مضمون الشرق في ذهن أصحاب هذا اللون عدوان واعتداء وقهر وتسلط.

ومنها ما كان شديد القبول، لأن المضمون عند أرباب هذا اللون رسالة سماء، وانتشال روح كادت تغرق في خناقات التشويش العقدي والتشريعي.

والتدرج بين اللونين، سلباً وإيجاباً، متداخلَين، له روَّاده وأصحابه.

ويوم أن انتهى فصلُ علوِّ الشرق، وعاد الغربُ يسطِّر عناوين صفحات عصر التنوير، والثورات الصناعية، والاقتدارات العلمية، برزت من جديد ردة فعل قادها أحفاد اللون الأسود القديم، وأرادوا انتقاماً، ولكنهم عقلنوه، وهم الأقدر على إعطاء الأفعال

صبغة العقلانية، مادام السنان بيدهم، والآلة تخرج مصنَّعة من ديارهم.

وجهدوا في تغييب الدافع الديني من لائحة دوافعهم، لاسيما وأنَّ «الحروب الصليبية»، في رأيهم، تكفي من أجل أن تكون القوة الرادة لفعل الشرق إذا حمل الدين الإسلامي إليهم.

وحدث الانتقام المعقلن في إراءة أهل الشرق سوء ما تميَّزوا به، على حد زعمهم، من فكر وفلسفة ونصوص، من خلال دراسات استشراقية تناولت المضامين واتسمت بالتحاملية، وأفرزت «زيهر، رينان، جب».

وما كان الغرب يومها خالي الوفاض من موالين أظهروا مودتهم بلسان العلم، وجرى بهم القلم إلى اعترافات بامتيازات الشرق، واقتداره على تقديم كبير خدمة للإنسان في جوَّاه وداخله «لوبون مونو».

وفي هذه الحقبة بالذات عبَّر بعضهم فقال: «الاستشراق طلائع الاستعمار، وهاهويمهِّد لاستعمار حدث في نهايات القرن السابق، وبدايات القرن الراهن».

يمكن القول الآن: إنَّ الاستعمار قد انتهى وبقي الاستشراق، وتحوّل مساره بعد اطلاع قريب، ومعرفة تعبر الواقع، وانقلبت الطلائع الاستعمارية إلى مناهج دراسية، وأضحى لسان الحال ينطق أحياناً: ومن الذي قال إنَّ الشرق لايملك معطيات خيِّرة يفيد منها الإنسان.

وخفَّت حدة التحاملية، أوسقطت، وارتسمت في خارطة الدراسات الاستشراقية مناهج مختلفة متباينة.

١ـ منها ما أوجبت تطبيق الأسلوب الغربي في دراسة مضامين الشرق، وقد رُفضت هذه من قبل مثقفي الشرق ورجالاته، لأنهم رأوا في تطبيق أساليب الغرب نتائج غير مقبولة أومعقولة، وكادت هذه الدراسات تنسف غيبيات وتقضي على اعتقادات؛ فهل يقبل أويُعقل أن يكون «محمد ﷺ» بطلاً فحسب؟!

وهل نرضى أن يغدوالإسلام حلقة لاامتياز لها في سلسلة الأديان؟!

وما أظن أن واحداً منا يقبل أيضاً أن يكون القرآن الكريم متغيِّراً برمته، ومتحولاً كله، وأن لا ثوابت، وإنما الوعاء الزمني هوالحاكم على الدلالات كلها، يُبقي ما يبقي، ويفني

ما يفني، وتأثر بعض المثقفين المسلمين بذلك ودخلوا المعمعة نفسها، ورددوا صدى هؤلاء، وكتابة «طه حسين»، وما قاله «علي عبد الرازق»، وما أنتجته عبارات الإمام «محمد عبده» في بعض الأحايين شواهد على ذلك.

٢ـ ومن الدراسات: ما اكتفت بالجمع والموسوعية والتحقيقية، وأدت دوراً هاماً في تبيان خفايا خير، وإظهار قديم كاد يُنسى، وما أظن أن ذلك خاف على الدارسين، وإن كان التحرز من هذا النوع قد سرى على علماء الشرق، تأثراً بما فعلته الدراسات السابقة، وصدرت العبارات التالية: «سمٌ في دسم»، «ولا تأمنوهم وإن أظهروا خيراً فالعبرة بالنية»

٣ـ وتحركت دراسات أخرى نحو الميدان نفسه، فجال أصحابها الشرق، وحطَّت أقدامهم على بره وبحره وصحرائه، بحثاً عن شخصية مؤثرة، أو مخطوطة لها كبير أثر، أو مكان كان قد أثَّر في الزمن الماضي، من خلال أحداثه التي شكَّلت منه معلماً وموئلاً، وأوَّل من يطالعنا من هؤلاء «ماسينيون وهو يبحث عن حلاَّجه»، و«ريتر وهويفتش عن الحسن البصري»، وغيرهم.

٤ـ وقامت دراسات أخرى، ولعلها مَن أنجبت الاستشراق الحديث، أو كانت سلفه، فاتجهت إلى التاريخ وفلسفته، والقرآن وعلومه، والحديث وسنده، وكل ما يمكن أن يكون من إفرازات الواقع الإسلامي السابق، وناقشته بشيء من التجرد، وأعلنت خدمته، لأنه يحوي روائع لا تتبدى روعتها إلا إذا اتُّخذت لها قوالبُ معاصرة، تشكِّل مواد علوم مكتشفة حديثة: «الأنتربولوجيا، الأركيولوجيا، الأتنولوجيا، الإيبستمولوجيا، اللانكويستك، ...»، وصرحت تشم من بعضهم رائحة الوصاية على مخزون الشرق العظيم، بسبب قدرة أولئك على العلوم والأساليب المذكورة.

وجاء الاستشراق الحديث بعد منتصف القرن الراهن، بل بعد ثلاثة أرباعه، وهو يحمل أبعاد الماضي، وتمخض الظرف هذا عن الألوان السابقة محتوَاة متبنَّاة، وتراءت فيه كله.

إلا أن شيئاً جديداً حدث في هذه الفترة، وهو ما يُسمى بالتحرك الثقافي للبحث عن إمكانية التعايش، فتحول الاستشراق أو أغلبه إلى دراسات تعرّفية جادة، وجهد في أن يلبس

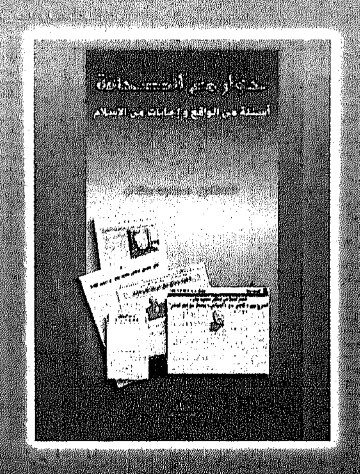
لبوس الموضوعية، وتبادل مع مثقفي الشرق المعطيات العلمية على طاولة التفاوض المتناظر، ورحت تلمح بعض دراسات يمكن أن تكوِّن منطلق دراسات «أنتربولوجية»، يتقاسمها كلٌ من الشرق والغرب، لأنهم بجمعهم قادرون على تقديم الصورة الكلية للإنسان، كلٌ في مجاله واختصاصه، واعترف القسيم بقدرة نظيره، وإمكان تغطيته لشيء ما من تطلعات الإنسان، ولاحت في الأفق لوامع من هذا، وحسبنا أن نشير هنا إلى سجلات المؤتمرات الاستشراقية-الاستغرابية، لاسيما ما جرى منها بعد بداية القرن الخامس عشر الهجري، وقد شاركتُ في مؤتمر مطلع القرن الخامس عشر الهجري الذي نظمته منظمة المؤتمر الإسلامي في اليونسكو «باريس» عام/ ١٩٨١/ م، ودعت إليه شرقيين وغربيين، ومستغربين وشرقيين، وأسفر المؤتمر عن توصيات هامة فيما يتعلق بالتبادل الثقافي من أجل إفادة متبادلة.

وأخيراً وليس آخراً، لأن الكلمات هنا رؤية وليست بحثاً علمياً، فالاستشراق اليوم غدا عبارة من عبارات التاريخ المعاصر، ومصطلحاً من مصطلحاته، وعلى هذا فهو يحتاج إلى دراسة دلالية، ذات شقين ومستويين، دون أن يكون هناك اختلاط بينهما، فما أسقطَه من دلالات في الحقبة الماضية القريبة، لم تعد ضمن إسقاطاته اليوم قطعاً، فاستشراق الأمس متحامل، واستشراق اليوم يبدو راغباً في موضوعية، ونازعاً إلى حيادية، وطامعاً في معرفة تعايشية، فهل يَقْدِرُ شرق اليوم على إشغال الغرب، والإجابة على كل تساؤلاته الإنسانية، فيما يتعلق بالرسالات السماوية، وحسب الغرب المستشرق بعدها أن يردد كلمة الإمام الغزالي: «طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله».

ويا أيها المستشرقون تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم هي الحوار، وألا يبخس بعضنا بضاعة بعض، والرائد لكلَينا: ﴿يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم الذي خلقك فسوَّك فعدلك﴾ الانفطار/٦، و﴿اقرأ باسم ربك﴾ العلق/١.

الفهرس





لقد اكتسح الخارطة العربية مساران من الفكر والتفكير
اتسما بالسلبية لأنهما فرّطا وأفرطا
وبدأ يتسرّب بعد غياب شبه مديد مسار فكر متنور
يفيد من حسنات الفكرين . ويقدّم ذاته
خطاً متصلاً بالنور القرآني الواسع الشامل
إذ ليست القضية لديه قضية إسلام ولا إسلام
وإنما القضية عنده قضية إنسان ولا إنسان
ومتى وُجد الإنسان جدّ البحث عن الإنسان .

Fusselt